

مواطن شوب الإسلامية
هنا

- ٣ -

قفقازيا



محمود شكر

الكتاب الإسلامي

محمود شاکر

قَفَقَاسِيَا

مؤسسة الرسالة

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

مؤسسة الرسالة - بيروت . ص.ب ٤٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خرج محمد صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى يثرب ،
وقد خاطب مكة قائلاً : « إنك لأحب أرض الله إليّ ولولا
أن أهلك أخرجوني ما خرجت » . وخرج صحابته رضوان
الله عليهم ، فارين بدينهم ، تاركين الأهل والولد ، والمال
والمتاع ، وبقيت ذكريات لأهل مكة - موطنهم الأصلي -
مائلة لهم ، تهفو إليها نفوسهم ، وتشتاق لربوعها أفئدتهم ،
ووصلوا يثرب ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم
وبين الأنصار ، فعاشوا حياة واحدة تظللها السعادة الحقة ،
ويخيم عليها الرخاء الصحيح . وشغل المهاجرون - بما هم عليه
من حياة فاضلة هادئة قوامها - لا يؤمن أحدهم حتى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه - شغلوا بها عن ذكريات موطنهم
الأول في مكة ، وعاشوا حياتهم متناسين كل شيء سوى

رسولهم الكريم ، والعقيدة التي تربط بين قلوبهم ، وتدفعهم
لنشر دعوتهم .

وكان كل مهاجر لله إذا التقى باخوة له في العقيدة ، وشعر
أنهم شاطروه الرأي ، وعاملوه بالحسنى ، اعتبر موطنه
الجديد هو الأول والأخير ، وعاهد على حمايته وتقديره وبذل
نفسه وماله في سبيل إعلاء كلمة الله فيه . وإذا شعر غير ذلك
من تفرقة وكره وتمييز ، عادت ذكريات موطنه الأول ماثلة
أمام عينيه وعأوده الحنين إلى نسائه ومفاته وجداوله
ومرتفعاته وتداعت إلى أفكاره ذكريات أرضه الأولى التي
لا مثيل لها ، وثمارها التي لا شبه لها ، وفاق إلى العودة معها
كانت الظروف والأسباب رغم ما ينتظره من بلاء يحقق به ،
وغم يترقبه من تقبل أفكار ومعتقدات الذين أجلوه عن أرضه
وحكموا بلاده رغم أنفه ، واضطهدوا أهله في دينهم
وأعراضهم وعاداتهم وأوضاعهم .

ويعيش في بلادنا اليوم جماعة من القفقاس ، هاجروا إلينا
بدينهم بعد أن احتلت بلادهم حكومة روسيا القيصرية
وسامتهم سوء العذاب ، وقد اعتمدوا في هجرتهم إلينا مفضلين
بلادنا على غيرها ونحن على سوانا بسبب العقيدة التي تجمعنا
وأيام على مستوى واحد فنكون كأسنان المشط « يا أيها
الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ورسول الله يقول :

« يا أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى » .

رحل هؤلاء المهاجرون إلى البلاد يحملون بين جوانحهم كل فكرة حسنة عنا ويظنون أن استقبالهم سيكون استقبـال المهاجرين لله ، وأن الإسلام هو الذي تطبق أحكامه على أرضنا فخصاب ظنهم ، ولم تنقض فترة حق بدأت نفوسهم تشـتاق إلى مواطنهم الأول وربوعهم الأصلية وبالنهاية بدأت تنتشر بينهم أفكار الإلحاد التي يدين بها حكام أرضهم الذين أخرجوهم وأذلوهم ، ولو كانت نظرتنا إليهم حسنة لبقوا على ما هاجروا عليه .

طبيعة بلاد القفقاس

عرف العرب المسلمون بلاد القفقاس منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وقد أطلقوا على جبالها اسم (القبق) ^(١) كما كانت تعرف باسم القج ، والقبقق ، والقفجاق ، وبلاد القفقاس تنحصر بين نهري ترك وكوبان شمالاً ونهري كورا وريفون جنوباً ، أي تشمل فقط جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية ، وإن أصبح هذا الاسم يطلق اليوم على مناطق أوسع بكثير شمالاً وجنوباً . وجبالها عظيمة الامتداد ، كثيرة الارتفاع ، صعبة الاجتياز ، قليلة الممرات ، تمتد على طول ١٢٠٠ كم لتصل بين البحرين الأسود والخزر ^(٢) (والخزر بلغة

(١) أي جبال القوقاز .

(٢) يطلق عليه اليوم اسم بحر قزوين ، كما كان يطلق عليه قديماً بحر طبرستان .

الجراكسة هو المنفرد) . وتعتبر أعلى جبال أوروبا فيصل ارتفاعها إلى ٥٦٣٠ في قمة البروز ، وتتشكل فيها الثلجات الدائمة كثلاجة ماروخ وهي بارتفاعها الشاهق وامتدادها الواسع تسد ما بين البحرين تماماً وتعتبر الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا ، والممر الوحيد في وسطها هو ممر دريال الذي يجري فيه أحد روافد نهر ترك العليا كما أن منطقتين يمكن اجتيازهما من خلالها وهما على سيف البحر من الشرق والغرب ، وبواسطة هذه الممرات تسيطر هذه البقعة على التجارة بين أوروبا وآسيا .

ان جميع الشعوب التي دخلت أوروبا عن طريق قفقاسيا ، واجتازت إحدى هذه الممرات قد استقر بعضها بقصد الغلبة على المنطقة ، وتمتد فيها جماعات رغبة في التجارة ، وتحصن آخرون ، والتجأت أقوام فراراً من جيرانها أو غزاتها ، وكان أن ضمت مزيجاً من الشعوب انصهرت فيما بينها وعرفت بالقفقاسيين إلا أنها ترجع إلى أصول مختلفة وشعوب متباينة ، والجماعات الحربية التي التجأت إليها وتحصنت بها وانعزلت عن غيرها احتفظت بلغتها ، وحافظت على جنسها ، فنشأت مجموعات عديدة وقبائل كثيرة لكل لغتها ، وعرفت كلها بالشجاعة والإقدام والقوة وشدة البأس وتعشق الحرية والصبر على الضيم .

وجرت موطن هذه الشعوب عليها صعباً كثيرة ، فطمعت فيها كل الدول المجاورة التي تريد السيطرة ، وحاولت احتلالها

كل الحكومات العسكرية الناشئة ، ففزاها الآشوريون
والكلدانيون والمصريون القدماء ، وخضعت لنفوذ بيزانطة في
القرن الثالث الميلادي بعد أن انتشرت المسيحية في جنوبها في
القرن الأول الميلادي وكذا في بلاد الابطاطه^(١) (الإنجاز) ثم
استولت على جنوبها الصين في القرن الرابع الميلادي ، وكانت
دولتا الفرس والرومان كهرسي رهان على امتلاك أرمينيا
وجنوب القفقاس . وإضافة إلى الغزاة فقد قامت فيها حكومات
محلية ، فأقام القوشجة في وسط المرتفعات حكومة عرفت في
كتب الفتوح العربية باسم حكومة اللان . وأسس الداغستان
دولة في السفوح الشرقية للجبال أسماها الفاتحون المسلمون
حكومة السرير .

سير الفتوحات الاسلامية

وفي القرن السابع الميلادي (٦٤٤ م) والأول الهجري
(٢٢ هـ) وصل المسلمون إلى بلاد القفقاس وذلك في عهد عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فبعد أن استولى سراقه بن
عمرو على اذربيجان تابع فتوحاته لنشر الاسلام ، وكان على

(١) سكان السفوح الغربية لجبال القوقاز على ساحل البحر الأسود وهم
منغزلون بين البحر والجبال .

مقدمة جيشه الذي سار نحو الباب^(١) عبد الرحمن بن ربيعة ،
فلما وصلها حاصرها وأطال ، فكتب إليه ملكها شهريزار ،
مستأمنًا ، فجاء الملك وقال له : « إني بإزاء عدو كلب ،
وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب ، ولا ينبغي لذي الحسب
والعقل ، أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوي
الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريب من ذي الحسب
حيث كان ، ولست من القبيح في شيء ولا من الأرمن ، وانكم
قد غلبتم على بلادي وأمتي ، فأنا اليوم معكم ، وبأيديكم ،
وصفوي معكم ، وبارك الله لنا ولكم ، وجزيتنا إليكم ، والنصر
لكم ، والقيام بما تحبون ، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم » .
فقال له عبد الرحمن فوق رجل قد أظلك فسر إليه ،
فجوزه^(٢) ، فسار إلى سراقه فلقيه بمثل ما كلم به عبد الرحمن ،
فقال سراقه : « قد قبلت ذلك فيمن كان معك هذا ما دام
عليه ، ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض ، فقبل ذلك » .
وكتب سراقه بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
فأجازه وحسنه وكان في كتاب صلحهم الأمان لأنفسهم
وأموالهم ، وأن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر أتاب

(١) الباب : هي مدينة باب الأبواب وهي ثغر على بحر الخزر ويطلق
عليها اليوم دربنت .

(٢) سمح له بالمرور واجتياز الأرض التي تحت إشرافه .

أو لم ينب وراة الوالي صلاحاً ، على أن يوضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقعد فعلية مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملاً . فإن حشروا ، وضع ذلك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به ، وهذه سنة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فليست الاستعانة بالمخالفين في الدين من أهل الشرك ، ووضع جزية الحماية عنهم بدعة جديدة .

ودخل في الاسلام جميع بلاد شروان وجزء من الداغستان ويعتبر القوموق^(١) في بلاد الداغستان أوّل من قبل الاسلام وبذلوا الكثير في سبيل نشره ، وقد تأسست في بلادهم اماره طارقي الشامية . وكان مركز الامارة مدينة طارقي التي يطلق عليها اليوم اسم بتروفسك . وهكذا فالمدنات الحديثة تريد أن تزيل كل أثر للمدنات السابقة وتغير معالمها وتوجه اهتمامها وخاصة على الحضارة الاسلامية ، ثم تدعي الحديثة منها أنها الوحيدة في الحضارة ثم تقلل من قيمة المدنية الاسلامية .

ثم وجهه سراقة بن عمرو فصائل إلى الجبال المحيطة بأرمينية موقان وتقليس وجبال اللان ، فاستولت على بلاد الأرمن

(١) القوموق : قبائل في بلاد الداغستان عند مصب نهر ترك وتختلف عنهم بالجنس .

والكرج ودخلوا مدينة تفليس وأسسوا حكومة عربية هناك ،
ودعوا الناس إلى الاسلام ، وكان من أول من دان بالاسلام
الكرج ثم الداغستان ، ثم امتد الاسلام إلى غرب قبرطاي ثم
إلى كوبا ، وكان امراء الأرمن قد دخلوا في الاسلام وتبعهم
الشعب ، ولكنهم ارتدوا عندما ضعفت الحكومة الاسلامية
هناك ، فالإسلام عندما يحكم يدخل الناس في دين الله أفواجا
فيطبقون أحكامه ويعملون بتشريعه ، وعندما يبعد عن الحكم
يترك كثير من الناس عباداتهم وينحرفون بأخلاقهم ، فإذا انقضت
فترة من الزمن على إبعاد الاسلام عن الحكم ، ادعى بعضهم أنه لم
يعد بالإمكان الرجوع إليه والأخذ بتعاليمه ، « إن الله ليزع
بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » فبمجرد أن تعلن الأحكام
الشرعية يطيع الناس في البداية طوعاً أو كرهاً ، ثم يؤمنوا
بصلاحيتها وحده دون سواه ، لذا يجب الاهتمام لناحية الحكم
والسلطان رغبة في تطبيق الاسلام لأن الأحكام اليوم والطواغيت
يحولون دون نشره وتطبيق تعاليمه بين الشعب لايجاد
القواعد الصلبة .

وفي عام ٣٢ هـ توغل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي في بلاد
الحزر حتى وصل إلى مدينة بلنجر وهي أكبر مدنها خلف
باب الأبواب ، فانهزم المسلمون ، وأصيب عبد الرحمن ، وقد
جاءت امداد للمسلمين بإمرة سليمان بن ربيعة الباهلي (أخي
عبد الرحمن) وقد أصبح والياً على تلك المنطقة بعد أخيه .

وقد سِير معاوية بن أبي سفيان - أمير الشام - بأمر
الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حبيب بن مسلمة حيث
استمر حبيب في فتوحه حتى وصل مدينة تفلّيس .

ثم توقفت الفتوح وتقلص انتشار الاسلام بسبب الخلافات
الداخلية التي وقعت في بلاد المسلمين ، ولم يحدث إلا بعض
الغزوات البسيطة عندما تترد بعض القبائل عن الاسلام أو
تخلع الطاعة ، أو يمتنع بعض المعاهدين عن دفع الجزية
وينقضون ما عاهدوا عليه ، ولم تسير الجيوش أثناء الفتوحات
الكبرى أيام الوليد بن عبد الملك حيث دخل جيش المسلمين بلاد
الحزر عن طريق أرمينية بإمرة ثبيت النهراني فاجتمعت عليه
الجزر وساعدتم عليه القفجاق والترك ، فانهزم المسلمون شر
هزيمة وفيهم ثبيت فوبخه يزيد فأجابه ثبيت : « والله يا أمير
المؤمنين ما جئنت ولا نسكلت عن ملاقات ، ولقد لصقت
الحيل بالهيل ، والرجل بالرجل ، ولقد طاعنت حتى انقضت
رحمي ، وضاربت حتى انقطع سيفي غير أن الله تبارك وتعالى
يفعل ما يريد » فعزله يزيد وولى بدلاً منه الجراح بن عبد الله
الحكمي ، وأمدّه بجيش كثيف ، وأمره بغزو بلاد الحزر ،
ولكن الحزر طمعوا بالمسلمين عندما هزمهم ، فحشدوا الحشود ،
ولكن الجراح استطاع أن يهزمهم ويدخل مدينة باب الأبواب
بغير قتال وصالح الترك على مالٍ يؤدونه ، وكان الجراح من

أعظم الولاة أثراً وفتحاً في تلك البلاد القاصية ، ودخل الناس في الاسلام بأعداد كبيرة .

وفي عام ١٠٧ هـ أيام هشام بن عبد الملك عزل عن ارمينية الجراح بن عبد الله وولى مكانه مسلمة بن عبد الملك ، فأرسل مسلمة الحارث بن عمر الطائي ففتح رستاق ، كما انتصر مسلمة على الترك في عام ١١٠ هـ عندما سار إليهم من باب اللان ، ثم في عام ١١١ هـ أعاد هشام الجراح بن عبد الله إلى ولاية ارمينية فدخل بلاد الخزر من ناحية قفليس ولكنه قتل أثناء عودته ، وانهزم المسلمون ، وولى مكانه سعيد الحرشي ، فقام بعدة فتوحات ثم أعاد هشام أخاه مسلمة إلى ولاية ارمينية واذربيجان ، وفي عام ١١٤ هـ ولى هشام مروان بن محمد^(١) على هذه الولاية فانتصر على الخزر وصالحهم ودانت له جميع البلاد .

وهكذا فلم تنته الدولة الاموية إلا وقد استقر الحكم للاسلام في قفقاسيا بعد أن انتفض سكانها مرات ومرات يساعدهم في ذلك أوضاع المسلمين وخلافاتهم . وطبيعة البلاد الجبلية ووعورتها ، وعدم رسوخ الايمان الصحيح في نفوسهم حتى تلك الفترة ، إذ كانوا حديثي الاسلام .

(١) الذي أصبح فيما بعد خليفة وهو آخر خلفاء بني امية .



الغزو المغولي

وبقي الحكم العربي الاسلامي في قفقاسيا مدة عصر القوة في الدولة العباسية ولكنه بدأ يضعف بضعفها ، حتى حلت الفوضى وضعفت الحكومة ، فانقسمت معها قفقاسيا إلى قسمين شمل الأول بلاد الكرج (كرجستان)^(١) وضم الآخر بلاد الانجاز .

وعندما اشتدت الحروب الصليبية واتجه العرب المسلمون لمحاربة الصليبيين ، استغل الكرج هذه الحروب ، وانشغال المسلمين في مقارعة الخصوم ، فأعلنوا الاستقلال ، ودخلوا مدينة تفليس وذلك عام ١٠٢٦ م . ولكن لم يطل حكم الكرج لبلادهم ، إذ أن عناصر القوة لم تنهأ لديهم بعد ،

(١) كرجستان : تعني بالفارسية بلاد القوة .

وروحهم المعنوية قليلة ، فالأهم الناشئة لا بد لها لكي تحافظ على استقلالها وتضمن لنفسها البقاء والحياة ، من أن تهتمد على عقيدتها التي ترفع الروح المعنوية ، فتزيد الشعب شجاعة وحامسا ، وقوة واقتدارا . فلم يلبث السلاجقة أن احتلوا البلاد ، بعد أن استولوا على تركستان وخوارزم وإيران ، وإن وقفت كرجستان في وجههم قليلا . ثم عاد زعيم السلاجقة ألب أرسلان فاحتل كرجستان من جديد عام ١٠٧٢ . وهكذا فقد خلف السلاجقة العرب^(١) في حكم جنوب القفقاس . ثم خلف السلاجقة المغول ، فاستولى جنكيز خان على بلاد أذربيجان ، وسار على دربند ، واحتل مدينة شماخي عنوة ، وقد عاث المغول في البلاد الفساد . ثم أرسل جنكيز خان جيشا نحو البلاد الشمالية ليملك دشت^(٢) القفجاق ، وكان الأمر قد تهيأ لهم من قبل لما فعله المغول من إضعاف القوى والروح المعنوية التي كانت بها تبك البلاد ، على أنها لم تكن قوى مجتمعة فيخشى بأسها ، بل كانت طوائف شتى ، لا جامعة لهم ، مما سهّل على جيش جنكيز خان أن يستولي على الدشت بأسرع ما يمكن . وتم لجنكيز خان مملكة عظيمة ، وأكثر المغول في الجراكسة القتل والأسر فتفرقوا

(١) دام حكم العرب المسلمين لقفقاسيا مدة ٦٣ ع عاما كاملا .

(٢) دشت : تعني الصحراء .

أيدي سبأ في جميع الأقطار والأمصار ، وكان هذا أول ورود الجراكسة على الديار المصرية ، فاشترى منهم نجم الدين أيوب مماليكه ، فصاروا ملوك مصر بعد الدولة الأيوبية ، ومنهم معز الدين أيبك وسيف الدين قطز والمنصور قلاوون وغيرهم من مشاهير الرجال الذين عرفوا باسم المماليك ووقفوا في وجه المغول الذين تقدموا في بلاد الشام فأوقفوهم في عين جالوت في فلسطين ودحروهم ، كما أن الفضل يعود لهم في إخراج بقايا الصليبيين من مصر والوقوف في وجه البرتغاليين الذين أرادوا السيطرة على بلاد العرب وهدم الأماكن المقدسة .

ولما أحس جنكيز خان بقرب منيته ، قسم مملكته إلى أربعة أقسام فجعل دشت القفجاق بأسرها وبلاد داغستان وخوارزم وبلغار الروس ومما يؤمل أخذه إلى منتهى المعمورة وسواحل البحر الغربي^(١) إلى ابنه الأكبر جوجي .

وفي عام ١٣٨٨ م جاء تيمورلنك زعيم التتار ، وقام بنفس الأعمال التي قام بها في غرب آسيا من فساد ووحشية .

الاستعمار الروسي

وبعد المغول ضعفت الحكومات التي قامت في قفقاسيا ، وبدأ الصراع بين العثمانيين والفرس للاستيلاء على هذه المناطق .

(١) البحر الأسود .

وأخيراً في القرن الخامس عشر خضع الجراكسة لنفوذ العثمانيين الإسمي ، واحتل العثمانيون بعض المواقع على سواحل البحر الأسود وخصوصاً قلاع اناباوازاق^(١). ثم دخلت روسيا في هذا الصراع للسيطرة على القفقاس وذلك منذ القرن الثامن عشر ، ووضع بطرس الأكبر نصب عينيّه خطة للسيطرة عليها ، وفي عام ١٧٢٢ م وسّع نادر شاه ملك ايران مملكته فحكم افغانستان وجورجيا ، ولكن استقلت هذه الأخيرة من بعده ، وبموجب معاهدة بلغراد ١٧٣٩ استقلت بلاد القبرداي عن الدولة العثمانية ، وهكذا بدأ الضعف يتسرب إلى هذه المنطقة بسبب وجود دولة صغيرة ، شكلت فراغاً في تلك المنطقة مما أطمع الدول المجاورة فيها .

ومنذ عام ١٧٦٥ بدأت روسيا^(٢) تتوغل في بلاد

(١) ازاق آزوف .

(٢) لم يتعلم الروس مبادئ القراءة والكتابة إلا في القرن العاشر الميلادي ، وأسسوا أول حكومة لهم في كييف ولكنها انهارت أمام غزو التتار عام ١٢٢٤ ، وأثناء حكم التتار انقسم الروس إلى ثلاث مجموعات:

- ١ - روسيا الصغرى عند نهري بربيت والدينير .
- ٢ - روسيا الكبرى يحها مدينة نوفوغرود وشمالها .
- ٣ - روسيا البيضاء في الغرب .

وبدأت روسيا في النهوض عام ١٤٨٦ عندما اضمحلت شوكة المغول الشماليين فخضع هؤلاء المغول للروس .

الجراكسة ، فأقامت القلاع في بلاد القبرداي وأسكنت قوزاق الفولغا في بعض المناطق ثم استولت على شبه جزيرة القرم وبعد ستة أعوام من احتلالها ابتلعته وضمته إليها نهائياً وذلك في عام ١٧٧٧ م .

وفي عام ١٧٨٣ أخذت روسيا على عاتقها حماية بلاد الكرج وقبلها مجلس الحكومة الروسية في ٢٤ حزيران من ذلك العام وفي ٣ تشرين الثاني أدخلت طابورين من عساكرها مدينة تفليس ، وقد أزعجت هذه الحماية كثيراً من البلدان والحكومات المجاورة ، وعلى الأخص العثمانيين ، وسكان القفقاس الذين وجدوا أنفسهم محصورين وسط أملاك روسيا من الناحية السياسية ووسط المسيحيين من الناحية الدينية - حيث يكثر المسيحيون في بلاد الكرج - وقد ترتب على ذلك نزول الداغستان بقوة عظيمة ، ودخلوا بلاد الكرج ، ولكن الروس أخرجوهم ، ثم زحف العثمانيون من الجنوب والداغستان من الشمال بقيادة عمر خان ، ولم تستطع روسيا حماية الكرج بسبب انشغالها في الشمال بالحرب ضد الشيخ منصور والشاشان والقبرداي وإن كانت قد خرجت من بلاد الكرج إلا أنها ضمت ولاية ستراخان إليها في شمال القفقاس .

وقد عقدت روسيا معاهدة سرية مع النمسا لاقتسام الدولة العثمانية وذلك في عام ١٧٨٧ م وبناءً عليها فقد أعلنت روسيا

الحرب على الدولة العثمانية وتقدمت في منطقة كوبان الجنوبية التي تخضع اسمياً للدولة العثمانية ، ولم تجد مقاومة الجراكسة والعثمانيين لهذا التقدم ، فقد احتل الروس المنطقة ، وأسروا القائد العثماني بطال باشا ، ولكن بعد عامين دارت الدائرة على الروس فتركوا المنطقة ، واجبروا على الخروج من بلاد الكرج ، ونقلوا عساكرهم إلى شمال القفقاس ، ثم وقعت معاهدة بين العثمانيين والروس أيام السلطان سليم الثالث ، اعترفت فيها الدولة العثمانية بتبعية شبه جزيرة القرم إلى روسيا ، وتوقفت الحرب بين الدولتين .

واستغلت إيران ضعف الكرج وتخلي الروس عنهم ، فدخلت بلادهم ورفضت روسيا انجادهم ، ولكنها عادت فيما بعد فأنجدهم وأخرجت الإيرانيين من بلاد الكرج وذلك في عام ١٧٩٦ م .

وتوفيت امبراطورة روسيا كاترين الثانية وخلفها القيصر بول فخالف أسلافه ، وسحب القوة من بلاد الكرج ، واعتبر مساعدة الروس للمسيحيين غير ضرورية ، ولكنه عاد عن رأيه ، وضم كرجستان إلى روسيا مما أجبر عمر خان قائد الداغستان عام ١٨٠٠ م أن يهاجم الكرج ولكنه فشل ، وكان أن روسيا ضمت الكرج إليها نهائياً عام ١٨٠١ م وابتلعتها مع ما ابتلعه .

مصور
مواطن الشعوب الشرقية
و جبرائيل



وفي عام ١٨١٠ ضمت روسيا إليها حكومة ايمارتي التي يحكمها الانجاز (الابطاظة) وحكومة غوريا في منطقة باطوم .
وفي عام ١٨٢١ م عقدت معاهدة ادرنة التي قضت بأن تضع روسيا يدها على جزء من الشمال الغربي لبلاد الجراكسة وهي جهة كوبان بدلاً من العثمانيين . وبعد هذه الفترة وقفت الدولة العثمانية مكتوفة الأيدي أمام الأحداث التي تجري بين الجراكسة والروس ، وأن عدم مساعدة ايران والدولة العثمانية للجراكسة في حروبهم ضد روسيا ، مكن الروس من ضم بلاد الجراكسة جزءاً بعد جزء إلى بلادهم وابتلاعها في النهاية ، كما مكنهم من اضطهاد المسلمين وإجبارهم على ترك ديارهم وتهجيرهم ، أو ترك أراضيهم وإفقارهم ، كما جعل ايران وتركيا أمام أطماع روسيا مباشرة مما يسهل عليها تنفيذ سياستها التقليدية في الوصول إلى المياه الحرة أو السيطرة على المضائق .

وعندما وجد الجراكسة أنفسهم في الميدان وحيدين ، كان لا بد من الاعتماد على النفس وتقوية الروح المعنوية ، فاستلهموا العقيدة فتحركت قوة الاسلام الكامنة فرغبتهم في الجهاد ، ودفعتهم للموت في سبيل الله ، ومن طلب الموت وهبت له الحياة ، واسترخصوا الدنيا فجاءتهم طائفة .

وألغوا حكومة قومية في بلاد الداغستان كان على رأسها

مشايخ الطرق وعلى رأسهم الشيخ شامل الذي أرسل رسله إلى بلاد الجراكسة ، وكان من الذين أرسلهم إلى جراكسة كوبان الشيخ محمد أمين وذلك للدعاية ضد روسيا ، وشحن الهمم ، والتعريف بالجهاد في سبيل الله ، وقد استطاع الشيخ محمد أمين أن يضم المجاهدين إليه ، فقاموا بزعامة كراندوق بك واستولوا على جملة قلاع روسية . ولم يكن الشيخ شامل شيخاً بفهمنا الحالي وإنما كان عالماً مسلماً فهم الإسلام دولة فكان رئيساً للحكومة ، وفهمه سياسة فاستطاع أن يفتنم الفرص المناسبة ، ويعتمد على مؤيديه في مناطق نفوذ أعدائه ، وفهمه إصلاحاً فأسس المحاكم وأقام العدل ، وفهمه قوة فأوجد المصانع الحربية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وقد بدأت الحرب بين الشيخ شامل وبين روسيا التي هالها أن ترى دولة اسلامية قوية بجوارها ، ومعنى هذا أن مصيرها محتوم ، فالعزة للمؤمنين وهم الأعلون ما داموا يحكمون بما أنزل الله ، كما هالها أن تجد الجراكسة تجتمع كلمتهم ويحاولون النهوض . وفي عام ١٨٤٠ م بدأ الشيخ شامل خطة الهجوم التي استمرت أكثر من عشرة أعوام ، وبقيت رحي

الحرب حتى عام ١٨٥٣ حيث بدأت حرب القرم بين روسيا من جهة وبين تركيا وفرنسا وانكلترا والبيه مونت من جهة أخرى توقفت أثناءها الحرب بين الشيخ شامل الذي بدأ يجمع الشمل ويزيد الاستعداد ، وروسيا التي 'شفلت في حرب القرم .

وفي عام ١٨٥٩ بعد انتهاء حرب القرم ، حشدت روسيا حشوداً عظيمة بلغت أكثر من ٣٠٠ ألف جندي في قفقاسيا وهاجمت الشيخ شامل ، فاستطاعت أن تأسره وذلك في عام ١٨٦٣ م ، ومنذ ذلك العام المشؤوم بدأت هجرات الجراكسة الفوج تلو الفوج من وجه الروس الذين ابتلعوا البلاد وضموها إلى أراضيهم ، ثم التفتوا إلى السكان يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم انهم كانوا من المفسدين . وكلما اعتصمت جماعة من الجراكسة بالصبر ، وجدوا أنفسهم إلى الهجرة أحوج .

الأجناس في قفقاسيا

وتدعي روسيا في احصائياتها أن عدد سكان القفقاس إنما هو ١٢,٢٣٠,٠٠٠ نسمة موزعون على الشكل التالي :

روس	٣,٧٢٠,٠٠٠
تتار	٢,١٠٠,٠٠٠
الكرج	٢,٠٠٠,٠٠٠
الأرمن	١,٥٠٠,٠٠٠
الداغستان	١,٠٠٠,٠٠٠
الجراكسة	٠,٦٠٠,٠٠٠
القوصحة	٠,٣٠٠,٠٠٠
الشاشان	٠,٣٠٠,٠٠٠
ترك	٠,١٠٠,٠٠٠
كرد	٠,١٠٠,٠٠٠
يهود	٠,٠٦٠,٠٠٠
المان	٠,٠٥٠,٠٠٠
أجناس أخرى	٠,٤٠٠,٠٠٠

المجموع ١٢,٢٣٠,٠٠٠

أما من الناحية الدينية فإن التتار والداغستان والشاشان والجراكسة والكرد والترك فانهم جميعاً يعتنقون الاسلام إضافة إلى ٢٥٠,٠٠٠ من الكرج و ١٥٠,٠٠٠ من القوصحة وعدد قليل من الأرمن ، كما أن قسماً من قبيلة أبازة يعتنق النصرانية وعلى هذا فلا يرون - حسب ادعائهم - المسلمين يزيدون على ثلث السكان إلا قليلاً ، وعلى حين أن الواقع أنهم أكثر من النصف بكثير ، فسفوح جبال القوقاز الشمالية ودشت القفقاس يقطنها المسلمون فقط بينما يكثر المسيحيون في السفوح الجنوبية . ورغم أن القفقاسيون يتألفون من عناصر كثيرة وقبائل مختلفة إلا أنهم يعرفون في بلادنا جميعاً باسم الجراكسة^(١) ، ويمكن أن نغيز قسمين رئيسيين يختلفان من حيث اللغة وإن كانا يتفقا في أكثر العادات :

١ - الجراكسة : والإسم القومي لهم « الاديفغة » ويعودون

(١) يقال أن معنى كلمة جركس : هو الجندي البارع وقد أخذوا هذا الاسم منذ أيام ابراهيم عليه السلام . كما يقال أن التتار أطلقوا عليهم هذا الاسم ومعناه قاطع الطريق حيث يشرفون ويتحكمون بالمرات الجبلية بين آسيا وأوروبا .

ويقال أن الفرس أطلقوا عليهم هذا الاسم ومعناه أنه يضم أسماء القبائل الأربع الاخوة ويطلق عليهم العرب اسم سرکس وسراکس .

من حيث الجنس إلى المجموعة الهندية والأوربية ويقال أنهم من أحفاد الحثيين كما يقال أنهم من سلالة المصريين القدماء ، فإن رمسيس الثاني قد وصل في فتوحاته إلى بلاد القفقاس ، وقد ترك هناك حامية من المصريين عند عودته ، ويحترم الجراكسة رمسيس الثاني ويقدرونه . كما يدّعي بعض أشراف الجراكسة أنهم من سلالة العرب الساميين وانهم من قبيلة قريش ، ولكن أكثر الشعوب الاسلامية تدعي هذا الادعاء لتتشرف به . وهم مجموعة من القبائل أشهرها :

١ - الأباظة (الانجاز) ويختلفون عن الجراكسة حيث يقيمون على سواحل البحر الأسود ومعزولين بواسطة الجبال الشاخنة التي تبقى مكللة بالثلوج مدة ٩ أشهر متواصلة ، أما صلتهم بالكرج فأكثر ، بسبب سواحل البحر السهلة الاجتياز ، كما يقطنون الجبال العالية ، ويعرف القسم الجنوبي منهم المتاخم للكرج باسم الانجاز وأكثريتهم من المسيحيين ، أما القسم الشمالي الذي يقع شمال القفقاس فيعرف بالأبازين وقد اختلطوا بالقبرداي واعتنقوا الاسلام ويعرفون بشدة تمسكهم بدينهم .

٢ - الابزاخ : ويقطنون في بداية السهول التي تلي مرتفعات القفقاس الشمالية ، ومعنى اسمهم يدل على هذه الإقامة .

٣ - القوشحة أو القوصحة : والاسم القومي لهم الايرون
أما الاسم التاريخي فهو الاستين ، ويعرفون بين العامة باسم
القوصحة ، ويطلق الكرج على القسم الجنوبي منهم اسم توالنا
ويسكنون القسم الأوسط من جبال القفقاس في مرتفعاته
المنبوعة وفمه الشاهقة المعروفة « قازبك » و « البروز » .

٤ - القبرطاي : ويقيمون شمال القوشحة أي في السفوح
الشمالية لجبال القفقاس ، وهم متمسكون بدينهم ، محافظون
على تقاليدهم ، مبالغون بعصبيتهم . وقد حاول اسلام بك
المصلح العظيم إصلاح نظام الحياة الاجتماعية والعادات الجركسية
(أدبغة خابزه) ، وقد اشتهر القبرطاي بتربية الخيل .

٥ - بزادوغ : وتقيم في شمال البلاد الجركسية وتنتشر
حتى مصب نهر كوبان .

٦ - شابسينغ : وتقيم في شرق بزادوغ وحاثو قواي ثم
هناك قبائل صغيرة عديدة .

٢ - الداغستان : ويقم الداغستان^(١) في شرق القفقاس
بينما يقيم الجراكسة في غربها وشمالها الغربي ، ويسيطر
الداغستان على الممر الذي يسير سفوح القفقاس الشرقية ويشرف

(١) الداغستان : سكان الجبال حيث هي كلمة في التركية تدل
على الجبل .

على بحر قزوين ، وينتشرون شمالاً حتى نهر ترك ، وتختلف لغتهم عن الجراكسة . ومن الشعوب الداغستانية :

١ - الداغستان : وهم سكان الجبال .

٢ - الشاشان : ويصل عددهم إلى نصف مليون ويسكنون بالقرب من نهر ترك ، ولهم اليوم جمهورية ذات حكم ذاتي ، ويعتقد الشاشان انهم من أصل عربي .

٣ - القوموق : ويعتبرون من القبائل الداغستانية ويتكلمون اللغة التركية ويقيمون عند مصب نهر ترك ، وجاءت هذه اللغة بسبب مرور الفاتحين من بلادهم ، مما أنساهم لغتهم وهم أول من اعتنق الاسلام في قفقاسيا وتأسست في بلادهم امارة طارقي الشامية ، وكانت عاصمة الامارة مدينة طارقي وتسمى اليوم بتروفسك .

٤ - الآندي : وهم مجموعة من القبائل من الداغستان ويعرفون باللزكي وإن كانت كلمة لزكي كثيراً ما تدل على الداغستان بكاملهم وقد تأسست لهم حكومة مستقلة تخضع للأمير شامل باديء ذي بدء .

العادات الشركسية والتقاليد

الشراكسة مجموعة من القبائل ولكل منها أميرها وهو من العائلات الشريفة وتنتقل إليه الأمانة بالوراثة ويسمى «بشي» ومعنى هذا أن نظام الحكم يقوم على طريقة حكم الأشراف . وتنقسم القبيلة في داخلها إلى أقسام صغيرة ، وعلى رأس كل منها « القولاس » أو « ورق » وهم الذين يصرفون الأمور داخل أقسام القبيلة . وهناك مجلس للأعيان وظيفته النظر في إعلان الحرب وانتخاب رئيس القبيلة ومحاكمة الأمراء وما إلى ذلك ، ويكون عدد أعضاء مجلس الأعيان بعدد أقسام القبيلة فلكل قسم ممثل له في المجلس ، ويفصل «الورق» في المنازعات بين الأهالي حسب الشريعة الإسلامية وحسب العادات والتقاليد التي تعرف باسم « أديغة خابزه » والتي هي غير مدونة ، ولكنها محفوظة مرعية ، والأمير الذي لا يحافظ على هذه

العادات والتقاليد يُعزل ، فهذه العادات تعتبر بمنزلة الشريعة والقضايا التي لا يمكن للورق أن يحلها تحال إلى « البشي » ، أما قرارات إعلان الحرب فتعرض أولاً على جمهور الأهالي مع بيان الأسباب التي دعت لذلك الاعلان ، فإن قبلوها أعلنت الحرب ، وإذا رُفضت أعيد النظر في القرار ، وهذا يعني أن للفرد قيمة ويؤخذ رأيه ثم يستشار وله مركزه . وقد اقيمت المحاكم الشرعية في القرن التاسع عشر أيام الأمير عادل كراي وهو بشي القبرطاي .

وللشراكسة لغة خاصة بهم وهي لغة سماعية ليس لها أيجدية ، وتحاول روسيا جاهدة ليكتبوا لغتهم ويستعملوا الأيجدية الروسية ، حتى تمكنهم من الحفاظ على لغتهم وارتباطهم بتاريخهم الجاهلي وخوفاً من أن يتعلموا اللغة العربية لغة الاسلام فتصبح لغتهم الرسمية ، ويرتبط مصيرهم عندئذ بمصير بقية إخوانهم المسلمين في جميع أرجاء الأرض . وتختلف لغة الشراكسة عن لغة الداغستان ، ولا يعرف الواحد منهم لغة الآخر . وليس هناك من عاداتهم وتقاليدهم شيء مدوّن ، والأديغة هو الاسم القومي لهم ومعناه الاصطلاحي الإنسان الكامل والمواطن الرقيق ، ويعتقدون أنه الأصل الأساسي للعرق الأبيض . ويمتاز الشراكسة بالشعر الأشقر والعيون الزرق والقامة المتوسطة والطبع الحاد ، والاستقامة في المعاملة

والقناعة في الربح القليل ، ويعرفون أيضاً بالطاعة التامة ،
 فالأبناء يطيعون آباءهم إطاعة مطلقة والمرؤوس يطيع رئيسه
 وهذا ناشئ عن البيئة التي عاشوا فيها واضطروا لإطاعة الحاكم
 الغالب . ولهذا فالشركسي جندي بالطبع ، بل جندي مثالي
 والمرأة الشركسية خير زوجة في طاعة زوجها . كما يعرف
 الشراكسة بالروح التعاونية المنتشرة فيما بينهم فلا تجد سائلاً
 أو محروماً بينهم ولا يمكن أن تجد سائلاً شركسياً في أية
 مدينة كانت ، كما أن الآباء لا يعاملون أبناءهم بالقسوة .
 ويشتهر الشراكسة بإكرام الضيف ، ومن الأمثال الشائعة
 عندهم : « دار لا ضيف فيها لا بورك فيها » ، « الضيف شريك
 الروح » ، كما أنهم يفتخرون بإجارة المستجير والوفاء بالوعد ،
 وتنتشر العدالة بين الشركس فلا يسمحون للقوي أن يتغلب
 على الضعيف وأن يهضم حقه ، ويقال أن الأمير عادل كراي
 حضر يوماً جلسة للمحكمة المنعقدة برئاسة القاضي «أبوق حاجي
 اسحاق» وبعد أن استمع إلى المناقشات والمرافعات همّ
 بالانصراف ثم التفت إلى القاضي المذكور وقال له إذا لم تحافظ
 على الحقوق العامة في دائرة العدالة التامة فلأقيم العدل بهذا
 - وأشار إلى سيفه - . فقال له القاضي : « وإذا رأيت
 فيك إهمالاً أو تقصيراً في تنفيذ أحكامي التي أستمدّها من
 الشريعة الغراء فلاني أنفذ فيك أمر ربي » .

ويعرف الشراكسة بعزمهم وقوتهم ومهارتهم في فن
الفروسية ويشتبهون في تربية الخيول التي يعدونها للمعارك
وخاصة القبرطاي ، وقد استفاد العثمانيون من شجاعتهم ،
فأسسوا فرقاً منهم واستخدموها في معاركهم التي خاضوها
ضد أعدائهم ، وكثيراً ما كانت الدولة العثمانية تلبس بعض
الفرق الخيالة اللباس الشركسي . كما أن روسياً التي عرفت
بسالة الشراكسة وشدة بأسهم بما لاقته في حروبها معهم من
صدومات جعلها تتخذ معهم أحياناً سياسة اللين والتودد ، كما
أنها اتخذت ملابسهم زياً لبعض فيالقها ، رغم أنها لا تزال إلى
اليوم تحتقرهم وتعتبرهم متأخرين ، وتتنظر إليهم نظرة إزدراء ،
وقد ذكر لي أحد الضباط البحارة الذين قاموا بجولة في البحر
الأسود انه حينما وصل إلى أول البلاد الشركسية ، قام المشرف
على الجولة وهو روسي بتعريفهم بسكان هذه المناطق وقال
لهم : إن هؤلاء السكان قبائل بدوية أشبه عندكم بما تسمونهم
النور (الزط) . وتقول أساطير الشركس بأن أقدم شجعانهم
يعرف باسم « نارت » . ويتقن الشراكسة من القديم الصناعات
المعدنية الحربية كالسيوف والكمامات ، ويفتخرون بالذين يقتلون
في المعارك الحربية . وقد عرف الفرنسيون عندما احتلوا
سورية شجاعة الشراكسة فاستفادوا منهم ، وألفوا منهم فرقة
خاصة اشتهرت بالقوة والشجاعة ، وعرفت بالنظام والطاعة

وقد أبدوا في حرب فلسطين قدرة فائقة ومعرفة بفنون القتال .

ويعرف الشراكسة بلباس القالباق والصاكوه وهي حرمة طويلة يلبسها الفارس فتغطيه ويفطي كفل جواده .

ويتخير الشراكسة زوجاتهم بعيداً عن ذوي قرباهم ، ولا تكلف العروس بعد الزفاف بأية خدمة لمدة طويلة ، وتلبس الفتاة بعد الزواج الحجاب الصحيح ، وتطيع زوجها الطاعة التامة ، ولا يظهر الصهر أمام حميه عقب الزواج إلا بعد مدة طويلة وفي حفلة خاصة لها تقاليدها ومراسيمها ، وتعرف الفتاة الشركسية بأن نضارتها تذوي بسرعة بعد زواجها .

وقد عاش الشراكسة في منطقة نائية عن بقية المسلمين ، تفصلهم عنهم من الجنوب جبال القفقاس الشاهقة المنيعـة وينتشر في جنوبها أكثرية المسيحيين أيضاً ، وأما من الشرق فيفصلهم بحر الخزر ، ومن الغرب يعزلهم البحر الأسود، لذلك وجدوا أنفسهم في عزلة تامة عن بقية المسلمين ونتيجة لهذه العزلة احتفظوا بكثير من عاداتهم الجاهلية القديمة رغم اعتناقهم الاسلام ، وليس غريباً أن نجد الشركسي يحافظ على عبادته الدينية ويتحمس لها وبنفس الوقت يحافظ على عاداته وتقاليده الموروثة رغم انها تخالف الاسلام صراحة . ولا شك أن هناك

رجالاً يريدون إصلاح هذه العادات الجاهلية ولكنهم يعجزون أمام التيار فلا يستطيعون التأثير إلا على أهلهم ، ولكن هذا العدد بدأ يكثر تدريجياً كما أن الأسر التي تعيش منفردة وبعيدة عن الجو الشركي بدأت بحكم الوظيفة تترك هذه العادات أيضاً ثم ان الفتيات اللواتي يتزوجن من غير الشركي يتركن عاداتهم أيضاً، ولم يكن الشرکس قديماً ليزوجوا بناتهم من غير جنسهم ولكن هذه العادة بدأت تزول وأصبح الاختلاط قائماً وبهذا الاختلاط تنقلص التقاليد القديمة .

ومن أهم العادات الجاهلية التي لا تزال مرعية هي لباس السواد حداداً على الموتى رغم أن الدين الاسلامي ينهي عن الحداد ، وكشف الرأس عند الدخول على عظيم . وعدم تغطية رأسه ما دام في حضرته .

ومن العادات الجاهلية أن الفتيات لا يتحجبن ما دمن غير متزوجات ويخالطن الرجال ويشاركنهم في أحوال كثيرة ويجلسن في مجالسهم ويرقصن معهم ، كما أن الفتاة هي التي تستقبل الشباب في الأعياد والمناسبات ، وهي التي تجلس معهم تحادثهم ، وهذه ولا شك مخالفة صريحة للإسلام ، وإن كان أنصارها - وهم من الشباب - يزعمون أن ما يحدث لا يخرج عن دائرة الحشمة والوقار . وهذه المخالطة تمكن الشاب من معرفة أخلاق الفتيات فيختار منهن ما يناسبه وتتعرف الفتاة

كذلك على طباعه وسلوكه وميوله ، وعندما يتم الاتفاق بين الشاب والفتاة يتفقان على موعد تذهب فيه الفتاة مع خطيبها إلى بيت أحد أصدقائه أو أصدقاء العائلة فتنزل فيه ، كما يحل هو ضيفاً عند أحد الأقرباء ، وبعد مدة يذهب أهل الشاب لطلب يد الفتاة وفي هذه الأثناء يعذبونه حتى ينقذه منهم الفرار أو قريبه الذي يحل عنده فيخلصه بتقديم ذبيحة أو اثنتين . هذا عند بعض القبائل ، أما عند بعضها الآخر فإن الفتاة عندما تتواعد مع خطيبها ينقلها على ظهر جواده ويطلق الرصاص إيداناً بأخذ الفتاة ثم ينطلق ، وعندها يسرع أهلها وأقرباؤها للحاق به ولكنهم لا يتجاوزون مكاناً محدوداً يعودون من بعده ، وبعد فترة يرسل الشاب من يطلب يد الفتاة له ، وقد بدأت هذه العادات بالانقراض تدريجياً .

وقد كانت تقاليد الزواج قاسية ، فبعد الاتفاق بين الشاب والفتاة والذهاب إلى منازل الأصدقاء يرسل الشاب من يطلب له يد الفتاة فإذا حصلت الموافقة فيها ونعمت ، وإن لم يقبل أهل الفتاة سالت الدماء بين العائلتين .

وان الشيء الذي يؤسف له أشد الأسف تلك السهرات التي يقضونها أثناء حفلات الزواج حيث يختلط الشباب بالفتيات فيترقصون معاً ويتسامرون حسب عادات وتقاليد مرعية ، فكان الفتاة الجهة اليمنى من الرجل المراقص لها ، كما أن الفتاة

لا ترقص إلا مع من كان من درجتها ومكانتها و... وجلة من
المراسيم المتبعة التي يطول شرحها . والشاب الذي لا يحضر
هذه الحفلات ولا يرضى بها حيث يرى فيها المخالفة الصريحة
للاسلام ينظر إليه نظرة خاصة من بقية الشباب ويعتبرونه
مخالفاً للعادات القومية، ومن جهة أخرى فإن الشباب المراهقين
والذين لا يهتمون بالدين يُعتبرون من الداعين لمثل هذه الحفلات
ومتحمسين لها باعتبارها ترضي شهواتهم وتشبع غرائزهم
ويحاجون خصومهم بأنها عادات وتقاليد قومية يجب
المحافظة عليها .

الحياة الاقتصادية في قفقاسيا

تتمتع قفقاسيا بموقع ممتاز ، حيث يقع البحر الأسود في غربها مما يضفي عليها مناخاً جيداً هو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، فالصيف جاف ولطيف وإن كان في الأودية حاراً نسبياً لكنه في المرتفعات معتدل وجيد ، والنسيم صحي عليل ، أما الشتاء فمظير ، وهذا المناخ غير معروف في بلاد الاتحاد السوفييتي التي أكثرها شديدة البرد وهذا ما حدا بالروس إلى أن يوجهو عنايتهم إلى هذه المنطقة لاستثمارها جيداً وإنتاج جميع ما يحتاجونه من منتجات البلاد المعتدلة الدافئة والمناطق الحارة ليتسنى لهم تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي وعدم الاستيراد من الخارج ، وبالفعل استطاعوا إنتاج الشاي مع انه من زراعات المناطق الحارة وقد انتشرت زراعته انتشاراً جيداً ، كما استطاعوا زيادة إنتاج الفاكهة من الأودية والسفوح

الجبليّة والسهول المروية مع أنّها من زراعات البلاد المعتدلة ولا يمكن إنتاجها في أراضي الاتحاد السوفياتي إلا على نطاق ضيق ، ولكن هذه المزروعات - الشاي والفاكهة - وإن كانت تلتجها قفقاسيا ، ويعمل بها سكان المنطقة ، إلا أنهم لا يستفيدون منها في شيء ، فهم يعملون في أرضهم ليطعموا منها الروس ، حيث تؤخذ هذه المنتجات وتوزع في مناطق أخرى على سكان آخرين .

أما الزراعة التقليديّة فهي الحبوب حيث يزرع في الشمال والجنوب لأن المنطقة الوسطى تغلب عليها الصفة الجبليّة مما يجعلها غير ملائمة للزراعة . ثم عرفت المنطقة زراعة القطن والشوندر السكري والبطاطا والكتان .

وتعتبر المنطقة ذات أهمية بالنسبة لتربية الحيوان وخاصة في مناطق الشمال والسفوح الجبليّة إضافة إلى الحياة القبليّة التي لا تزال سائدة ، كما أن بحر الخزر يعتبر ذو أهمية بالنسبة للصيد البحري .

ومنطقة قفقاسيا غنية بالثروات المعدنيّة فمنطقة البحر الأسود تعتبر ثاني منطقة في العالم بعد منطقة الخليج العربي من حيث احتياطي البترول ويستخرج اليوم من باكو وباطوم وغروزتي ومايكوب .

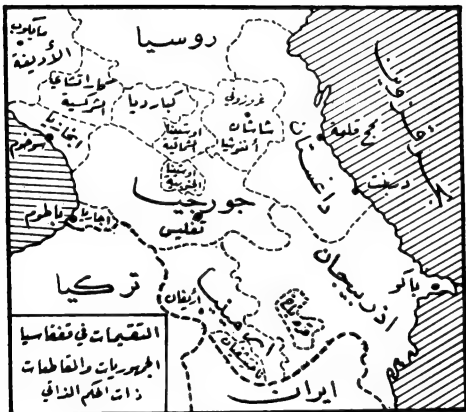
ولكن هذا الغنى لا يفيدنا شيئاً حيث ينقل إلى روسيا ليسير آلاتها ومحركاتها ، وإذا كان البترول العربي تستثمره شركات أجنبية استعمارية وتنقله إلى البلاد الأوروبية ولا تدفع للبلد المنتج إلا شيئاً قليلاً جداً لا يستحق الذكر بالنسبة إلى مراجعها الطائلة ، فإن البترول القفقاسي ينقل إلى روسيا دون دفع شيء ولو كان قليلاً ، وإذا كنا نحن العرب نهدد الشركات بالتأميم ، وتوعد شركات النقل بنسف الأنابيب وتفجيرها ونطلب المزيد من العائدات والمخصصات البترولية ، ونتحفز بشكل دائم للانقضاض على هذه الشركات الاستعمارية ، فإن القفقاسيين ينقلون بترولهم تحت نظر أعينهم دون أن يعبروا عما بأنفسهم ولو بكلمة وإذا تجرأ أحدهم وعبر عما يحيش في نفسه ولو بعبارة يذرفها كان الموت بانتظاره وأقرب من الدفعة إلى عينه . ويمكن أن نضيف الشلالات الكهربائية الموجودة في سفوح الجبال ومنها نهر غوموش . كما أن النحاس يوجد في أرمينيا ، وكذا الرصاص والتوتياء يوجدان في شمال القفقاس ، كما أن بحر الخزر يستخرج منه الملح .

وفي قفقاسيا صناعة تقليدية هي الصناعة النسيجية وخاصة الصوفية منها في جورجيا ، إضافة إلى صناعة السجاد ، أما بالنسبة للصناعة المعدنية فلا تزال ضعيفة حيث تنقل الثروات المعدنية إلى مناطق بعيدة عن مواطن استخراجها كما هو الحال في افريقية .

وليس هناك من تجارة داخلية أو خارجية ، فكل شيء بيد الدولة فهي التي تأخذ من منتجات المنطقة وتأتي بالشيء الذي تريد وتوزع ما ترغب ، وتمنع ما تود ، دون النظر إلى حاجة السكان أو رغبتهم .

والمواصلات لا توجد لحاجة المنطقة إليها ، ولا لرفاهية الشعب ، ولا للطلب المتزايد ، وإنما تمد لإحدى غايتين (١) لتأمين نقل منتجات المنطقة إلى البلاد الروسية (٢) لغاية عسكرية من أجل نقل النجذات والجنود لاستخدامها في حالة تفكير أية جماعة بالتمرد من أجل عقيدتها أو حريتها أو تقرير مصيرها ، لذا نجد المواصلات تقتصر على مناطق الانتاج فتصلها مع بعضها ومنها إلى مناطق الصناعة في روسيا ، وإما في المناطق ذات الأهمية العسكرية ، ونرى بشكل عام ان الطرق المعبدة والسكك الحديدية تسير السواحل ثم تتصل خطوط السواحل مع بعضها في شمال القفقاس بخط واحد ، وفي جنوبها بخطين أحدهما يسير الحدود الإيرانية والتركية ، وآخر يمر بتفليس عاصمة جورجيا .

أما المناطق الجبلية التي يمكن أن تكون مصايف شهيرة لجودة مناخها وحسن مناظرها، ومفاتيح أوديتها الجميلة وروابيها الخضراء فلم تبذل أية مجهودات مهما كانت ضئيلة في سبيل ربطها مع بعضها ورفع مستواها ، والعناية بها ، وحسب أقوال الذين



مرّوا في المنطقة فإن المسافرين ينبّه إلى عدم اختلاطه بالسكان أو التباحث معهم بأي حديث منها كان وخاصة إذا كان الانسان المسافر مسلماً ، إضافة إلى أن الروس ينظرون إلى السكان القفقاسيين نظرة ازدراء واحتقار .

التقسيمات

إذا نظرنا إلى قفقاسيا نجد أقساماً كثيرة ولكنها تختلف عن بعضها بتركيب الأسماء وطريقة الحكم ودرجة الاستقلال
فنجد :

١ - الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، وتشمل :

(١) أرمينيا .

(٢) أذربيجان .

(٣) جورجيا .

٢ - الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتي ، وتشمل :

(١) كباديا بلكاريا .

(٢) اوستينا الشمالية .

(٣) شاشان اتغوشيا .

(٤) البخازيا .

(٥) آجاريا .

(٦) ناختيشيفيان .

(٧) داغستان .

٣ - المقاطعات ذات الحكم الذاتي ، وتشمل :

(١) الأديغة .

(٢) الكاراتشاي الشركسية .

(٣) اوستينا الجنوبية .

(٤) قره باخ الجبلية .

ولا بد من بعض الملاحظات على هذه التقسيمات :

١ - إن هذا التقسيم غريب من نوعه حيث أن المنطقة صغيرة ومع هذا فهي مقسمة إلى أربعة عشر جزءاً ، ولكن بإلقاء نظرة على تقسيمات قفقاسيا تقفز إلى أذهاننا تلك التقسيمات الغربية أيضاً والموجودة في الجنوب العربي ، والتي أقامها الاستعمار الانكليزي حتى يتمكن من السيطرة على المنطقة ، كما تقفز إلى أذهاننا تلك السياسة المتبعة عند جميع المستعمرين وهي - فرق تسد - .

٢ - تتداخل الأقسام مع بعضها البعض ، بحيث يدخل القسم الأول في آخر أكبر منه ، وهو بدوره يدخل ضمن قسم ثان وهكذا ، ثم إن هذه التقسيمات من حيث المعنى يصعب على الانسان التفريق بينها وتمييزها عن بعضها ، فهناك جمهوريات اشتراكية سوفيتية وأخرى اشتراكية سوفيتية ذات حكم ذاتي ، وثالثة مقاطعات ذات حكم ذاتي .

٣ - من الملاحظ أن المناطق الجبلية التي يمكن أن تكون مركزاً للتمرد أو الثورة مجزأة إلى أقسام صغيرة ، بينما المناطق السهلية واسعة نسبياً ومن المعروف أن سكان الجبال أشد قوة وأكثر تمسكاً في الحروب وقد عجم الروس عود هؤلاء السكان أثناء حروبهم معهم .

٤ - إن المناطق الشرسكية في شمال القفقاس مجزأة أكثر من غيرها وذلك بسبب ما عرف به الشراكسة من بسالة وقوة وشجاعة أثناء صراعاتهم مع الروس ، ومحاولة منهم من دخول البلاد ، والشراكسة جنود بالفطرة بسبب مواقعهم الجبلية وبلادهم الوعرة .

٥ - إن المناطق التي يكثر فيها المسلمون تكثر تقسيماتها فكان العداء بالدرجة الأولى إنما هو الإسلام الذي فيه القوة الكافية التي يخشاها الروس بل كافة الأوروبيين .

٦ - إن هذه التقسيمات لا تخضع لأية اعتبارات قومية
رغم حرص الروس الشديد على التأكيد على الاعتبارات القومية
في تقسيماتهم ، فالشراكية تضمهم جميعاً قومية واحدة ، ومع
ذلك فأراضيهم غير مجزأة إلا إلى ٩ أقسام ، بعضها الواسع
وبعضها الضيق ، منها الجمهوريات ومنها المقاطعات .

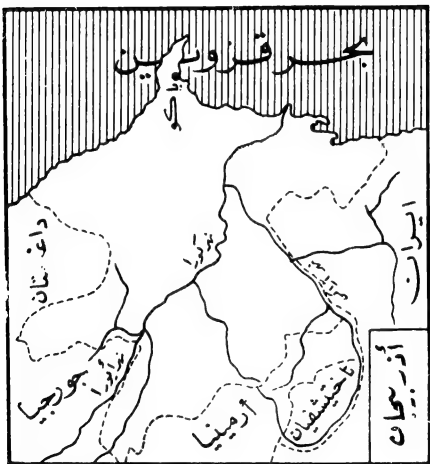
أذربيجان

تقع أذربيجان في الجنوب الشرقي من قفقاسيا ، وتشمل سهول نهر كورا المنخفضة والتي تحيط بها الجبال من جميع الجهات ، فلا تنفتح إلا إلى جهة الشرق حيث بحر قزوين ، وهذه الجبال هي القفقاس من الشمال ، وأرمينيا من الغرب ، وجبال أذربيجان الإيرانية من الجنوب ، وتجري المياه نحو هذه السهول من جميع الأطراف من الجبال المحيطة بها ، وتكون شديدة الانحدار لقصر المسافة التي تقطعها ، فتحفر أودية واسعة سحيقة ، تعتبر من مراكز الزراعة في تلك الأرجاء .

وأما هذه السهول نادرة لانحصارها بين المرتفعات التي تحجب الأمطار عنها ، مما يجعلها جافة ، ولكن هذا الجفاف

يعوض بالمياه المتدفقة التي تجري من المرتفعات ، وأشهر هذه المجاري وأطولها نهر كورا الذي يجري من جورجيا ، ويمر من عاصمتها تفليس ، ثم يدخل أراضي أذربيجان ، حيث يرفده نهر أيورا المناسب أيضاً من جورجيا ، ويتجه النهر نحو الجنوب الشرقي ثم نحو الشرق حيث يلتقي بنهر أراكس الذي يؤلف الحدود بين إيران وتركيا من جهة ، والمقاطعات القفقاسية من جهة أخرى ، وبعد التقاء نهر كورا بنهر أراكس ، تكثر الفروع والأقنية وتتصل مع بعضها ، إلى أن يصب النهر في البحر ، وقد أقيمت مشاريع كبرى كان من نتيجتها إمكانية زراعة القطن على نطاق واسع وهو من النوع المصري الممتاز ، كما يزرع القمح الشتوي ، إضافة إلى المزروعات التي على السفوح الجبلية ، حيث الكرمة والحبوب ، وفي الأودية الفاكهة والتبغ ، وعلى مجاري الأنهار الشاي وأشجار الجوز ، وتكون أمطار السفوح القفقاسية أغزر من غيرها لتعرضها للرياح الغربية مباشرة ، في حين أن السفوح الأخرى تدير ظهرها للرياح الممطرة فلا تأخذ منها إلا نادراً .

والمحاصيل الزراعية في أذربيجان من منتجات البلاد الدافئة ، وهي غير موجودة في بلاد الاتحاد السوفياتي ذات المناخ البارد ، مما جعل الروس يعتنون بهذه الأراضي ويحاولون زراعة جميع ما تحتاج إليه بلادهم من محاصيل لا تلتجها ، وهم



يأخذون هذه المزروعات ويوزعونها على جميع أرجاء البلاد الروسية . وأذربيجان غنية بالقوى المحركة والثروة المعدنية ، فالبتترول يعتبر أهم مادة في البلاد ، فقد بلغ انتاج هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى مقدار ٢٥ مليون طن من مكان باكو ، وتمتد أنابيب البترول بين باكو على ساحل بحر قزوين ، وباطوم على ساحل البحر الأسود ، ويصدر البترول خاماً ومكرراً . وهناك القوى الكهربائية التي تولد من المياه المتدفقة من الجبال ، وتحوي أراضي أذربيجان من المعادن على الحديد والنحاس والبوكسيت ، وإن كان جل ما تشتهر به المنطقة بالامكانيات البترولية الضخمة .

وأهم ما تشتهر به المنطقة من صناعات هي الصناعة البترولية ، وصناعة الحديد الصلب ، والاسمنت والأسمدة ، والمنسوجات الصوفية والقطنية ، إضافة إلى صناعة السجاد التي تشتهر بها كل تلك الجهات التي تشمل شمال إيران وشرق تركيا وجورجيا وأذربيجان .

تبلغ مساحة أذربيجان ٨٧,٠٠٠ كم^٢ . أي أقل من مساحة الأردن بقليل ، ويبلغ عدد سكانها ٢٣,٢٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ٣,٣٠٠,٩٦٠ من المسلمين ، أي نسبة المسلمين في أذربيجان ٧٨ ٪ ، وأكثر هؤلاء السكان ينتمون من حيث الجنس إلى

الأكراد الذين يقيمون في سفوح جبال أذربيجان ، ثم التتار الذين يسكنون عند مصب نهر كورا وفي مدينة باكو، وهؤلاء جميعاً من المسلمين ، ثم هناك الأرمن الذين يقطنون سفوح جبال أرمينيا، وأخيراً الروس الذين دخلوا إلى البلاد ، وقد كانت نسبة المسلمين أكثر من هذا قبل دخول الروس إلى هذه المنطقة .

وقد فتحت أذربيجان في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد سراقه بن عمرو، وانتشر فيها الاسلام ، وأثناء الهجوم المغولي استولى عليها جنكيز خان . ثم خضعت في القرن الخامس عشر للنفوذ العثماني . وقد مر معنا كيف استطاعت روسيا القيصرية أن تضم إليها بلاد قفقاسيا في القرن التاسع عشر بعد حروب ومناورات، ومعاهدات وتجدد قتال ، وثورات وبطش بأهلها . وعندما قامت الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ أرسل لينين قوات من الجيش الأحمر ، وجعل على رأسها أحد الأرمن وهو شوميان ، وذلك لنشر العقيدة الشيوعية وإحلالها محل العقيدة الاسلامية ، وابتدأت المجازر الرهيبة ، وخاصة في باكو ، حيث قضي على عشرات الآلاف من المسلمين، بينهم الأطفال والنساء والشيوخ، كما دبرت المؤامرات لاغتيال الزعماء المسلمين الذين لم يساوموا على عقيدتهم

ولم يقبلوا عنها بديلاً ، كما صعب عليهم أن يروا الشعب تحارب عقيدته وتراق دماؤه أمام أعينهم ، فوقفوا في وجه الطغاة الدخلاء ، ولكن المؤامرات قد نجحت وذهب مئات الزعماء ضحايا وشهداء في سبيل الله ، واستقر الحكم للدخلاء ، ومن هؤلاء الشهداء رسول زاده محمد أمين ، وعلي ميردان ، وفاتح علي خان حسن بك ، ويوسف بيلي نسيب بك . وبعد ثلاث سنوات من بداية المجازر أي في عام ١٩٢٠ ألحقت أذربيجان بالاتحاد السوفياتي كجمهورية اتحادية سوفياتية اشتراكية عبر القفقاس ، ولكنها في عام ١٩٣٦ أصبحت جمهورية خاصة .

وهناك مجلس إسلامي شكلي لمناطق عبر القفقاس ، للنظر في القضايا الدينية للمسلمين في أذربيجان وأرمينيا وجورجيا ، ومركز هذا المجلس في مدينة باكو ، والواقع أن هذا المجلس ليس له أي عمل ، وإنما هو شكلي تماماً ويرأسه اليوم حكيم زاد شيخ معصوم ، وأهم عمل لهذا المجلس إظهاره أثناء الزيارات الإسلامية بالمظهر الإسلامي .

والشيء الذي يهتم له السكان ويحملون به ، ويتربغون به في أفئدتهم دون أن يصل إلى ألسنتهم ولا يستطيعون أن يعبروا عنه إلا في ضمايرهم هو اليوم الذي يأملون أن يقولوا فيه كلمة (حق تقرير المصير) .

وأهم مدينة في أذربيجان هي مدينة باكو وتشتهر كما ذكرنا بالبترول وهي عاصمة جمهورية أذربيجان .

قره باخ :

وفي جمهورية أذربيجان مقاطعة ذات حكم ذاتي هي مقاطعة قره باخ ، وتقع في سفوح جبال أرمينيا ، وهي منطقة جبلية بالدرجة الأولى .

دَاغِسْتَان

هي جمهورية سوفياتية ذات حكم ذاتي ، تبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠ كم^٢ . أي أكبر من نصف مساحة الأردن بقليل ويقطنها ما يقارب ١,٢٥٠,٠٠٠ نسمة ، وتقع بين جبال القفقاس وبحر قزوين، وتشمل الجبال ثلاثة أرباع أراضيها، فهي إذن منطقة جبلية . وإن كلمة داغ في اللغة التركية تدل على الجبل ، وداغستان سكان الجبل ، وتنحدر الأنهار من الجبال نحو بحر قزوين ، ولا تقطع إلا مسافة قصيرة حتى تصب في البحر ، لذلك فهي شديدة الانحدار ، وأطول هذه الأنهار نهر ترك الذي ترفده أنهار كثيرة ويمر في غروزي مركز بلاد الشاشان . ويشكل الحدود بين الداغستان والشاشان ، ثم نهر هولاق الذي يصب شمال مدينة محج قلعة ، ولكن الأنهار تصبح قصيرة في الجزء الجنوبي من البلاد .

والبلاد ذات مناظر جميلة في جبالها التي تشرف على البحر،

داغستان

مخدوم

شش

عزونی

نہر رسولی

انفوشیہ

بحر قلمه

جواب

آذر بیجان

وفي أوديتها السحيقة التي تدل على الرهبة بسبب شدة الخدار المياه الجارية ، ولا تترك الجبال بينها وبين الساحل إلا سهلاً ضيقاً . ويتسع بالاتجاه شمالاً ، ويعرض اعتباراً من محاذة مدينة محج قلعة ، ولكنه ينفتح عند مصب نهر صولاق . وتصبح البلاد كلها سهلية ابتداءً من مصب نهر ترك .

وداغستان بلاد زراعية بالدرجة الأولى . فهي تنتج القمح والذرة والبطاطا والخضروات والكرمة . وتزداد الكرمة في زراعتها بشكل يلفت الانتباه . كما أن الماشية ترعى في سفوح الجبال . وأشهر مواشها الأغنام .

ويمكن أن نقول أن البترول يعتبر اليوم من مصادر الثروة الكبيرة ، ويستخرج من مكان تحت المياه في بحر قزوين على بعد ١٠ كم من الشاطئ ، ثم هناك الغازات الطبيعية . ومن الصناعات الموجودة في داغستان معمل للزجاج يطلق عليه اسم (أضواء داغستان) وهناك أحواض لإصلاح السفن ومعامل لتعبئة الأسماك واللاحوم . كما أن البلاد تشتهر بصناعة السجاد وخاصة مدينة دربند . وتوجد محطة كهربائية في جرجييل ومحطة أخرى في مدينة تشيربورت على الضفة اليسرى لنهر صولاق .

وسكان البلاد كلهم من المسلمين على اختلاف أجناسهم ، إذا استثنينا الروس الذين دخلوا إلى البلاد . وقد دخل الاسلام

إلى هذه المنطقة منذ فترة الفتح أيام الراشدين على يد عبد الرحمن بن ربيعة ، وقد ساعد الداغستان المسلمين في فتوحاتهم قبل أن يسلموا . ووضعت عنهم مقابل ذلك جزية الحماية . وقد كان القوموق الذين يسكنون عند مصب نهر ترك أول من دخل الاسلام . وبذلوا الكثير في سبيل نشره . وقد تأسست في بلادهم إمارة طارقي الشامية ، وكانت مركز الإمارة مدينة طارقي التي يطلق عليها اليوم اسم (بتروفسك) كقاعدة عامة في إزالة كل ما يمت إلى الاسلام وتاريخه بصلة ، ثم تباع القوموق بقية الداغستان في الاسلام .

كما احتل جنكيز خان بلادهم . ثم خضعوا للنفوذ العثماني في القرن الخامس عشر ، وعندما اخذت روسيا حماية بلاد الكرج عام ١٧٨٣ أزعجت هذه الحماية الداغستان فنزلوا لقتال الكرج والروس بقيادة عمر خان . وقد أجبروا الروس ترك بلاد الكرج . ولكن الروس عادوا إلى بلاد الكرج عام ١٨٠٠ فعاد الداغستان بزعامة عمر خان ولكنهم فشلوا في هذه المرة . وفي عام ١٨٢٩ قامت في بلادهم حكومة قوية على رأسها مشايخ الطرق ، وقاموا بالفتوحات ، وأخيراً انهزم آخرهم وهو الشيخ شامل أمام الروس وأسر عام ١٨٦٣ ، ودخل الروس بلاد الداغستان وابتدأت المجازر ، مما جعل الداغستان يتركون بلادهم مهاجرين إلى بلاد العرب ، حيث

يعتقدون أنها بلاد النور حيث شع منها الاسلام .

وقد قامت ثورات في بلاد داغستان أشهرها ثورة عام

١٩٠٥ م .

— والداغستان مجموعة من القبائل أشهرها القوموق والآندي . ويحاول الشيوعيون اليوم نشر الفساد لإبعاد الناس عن التفكير في الدين . فهم يشجعون الرقص وإقامة الحفلات الكثيرة وتأليف الفرق الموسيقية الراقصة وإرسال أعضائها في زيارات للدول الأجنبية وإقامة الحفلات .

— ويختلف الداغستان عن الشركس بلغتهم وثقافتهم ، وان كانوا يتشابهون من حيث العادات والتقاليد بسبب الجوار . ويطلق عليهم خطأ في بلادنا اسم (الشركس) .

وحج قلعة عاصمة البلاد، وتعرف اليوم باسم (ماخا تشكالالا) وفيها محطة للقوى الحورية ، وتعتبر ميناء هاماً على بحر قزوين ، ودربند مدينة تقع في جنوب البلاد على ساحل البحر أيضاً . وتعتبر ذات موقع مهم حيث تشرف على الممر الطبيعي بين الشمال والجنوب . فتمر منه الجيوش الفاتحة المنطلقة نحو أوروبا أو الداخلة إلى آسيا . وقد أطلق العرب عليها أثناء فتوحهم اسم باب الأبواب .

إن سكان الجبال وأهالي السهوب لا يخضعون بشكل عام لفتح يمس كياناتهم ، ولا يدينون لمسيطر إدانة تغير في وضعهم ، كما لا يؤثر فيهم الفاتحون بحضارتهم إلا قليلاً . ولا يتأثرون بثقافة حكامهم إلا تأثيراً ضئيلاً . ولا يشذ سكان القفقاس عن هذين النوعين . فهم إما أهل جبل في الوسط أو قاطنو سهب في الشمال ، لذلك وجدنا تأثير الاسلام ضعيفاً في هذه المناطق وانتشاره بطيئاً رغم أنه طرق شغاف البداية القاسية فانفتحت له ، واستجابت لداعي الله وعملت ضمن نطاق الدعوة ، وإذا بها تنقلب مثلاً للركة والرحمة .

ويمكن أن نميز ثلاث مناطق في قفقاسيا بالنسبة إلى الاسلام وأثره :

١ - أذربيجان وداغستان : لم تنتشر المسيحية في هذين الاقليمين مثل الاسلام ، وإنما كانت الوثنية هي السائدة ،

فجاء الاسلام منقذاً ، فغير المفاهيم وألأب القلوب ، فتقبلته النفوس . وبدأ السكان يدخلون في دين الله أفواجا . وساعد ذلك على استقرار الحكم الاسلامي . فقد استمر حكم هذين الجزأين بيد المسلمين منذ الفتح الراشدي حتى الاستعمار الروسي -أللهم إلا في بعض الفترات القصيرة التي كان يتخطى فيها الجيران الحدود ويحكمون بعض الأجزاء - وقد كان من سكان هذين الجزأين دعاة ومبشرون للإسلام في الأقاليم المجاورة لهم في الوطن والقبائل القريبة في السكن ، دعاة سجلهم التاريخ في أنصع صفحاته . وقد مرت معنا دراسة هاتين المنطقتين فيما سبق .

٢ - أرمينيا وجورجيا : وقد انتشرت المسيحية فيها قبل وصول الإسلام إليها حتى عمت أرجاءها ، لذلك اعتبر سكانها المسلمين دخلاء فقاوموا دعوتهم ولاغراض سياسية حيث كانت الدولة البيزنطية من وراء ذلك تدفع هؤلاء السكان لمقاومة الدعوة وتحريضهم على قتال المسلمين . مما جعل الحكم الإسلامي مزعزعا ، لم يستقر فيها تماما ، ولم تتح الفرصة ليمكن المسلمون من تبليان حقيقة دينهم وإظهار صلاحيته ، وأنه لا دين غيره ولا حكم سواه ، ولو طبق لما قبل عنه بديل ، وما حكمت به جماعة إلا أعزها الله فسادت . وما

مقاومته خلال العصور إلا للجهل به ، والانسان عدو ما يجهل .

فلم يمتنع الاسلام إلا نسبة ضئيلة لم تتمكن من الدعوة لدينها بسبب ما لاقت من اضطهاد . فبعد أن دخل العرب المسلمون أراضي أرمينيا وجورجيا أيام الخليفة عمر بن الخطاب لم يستقروا فيها طويلا حيث عاد الأرمن لتأسيس حكومة لهم بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - عام ٦١ هـ ، ٦٨٠ م . ولكن هذه الحكومة لم تدم طويلا حيث عاد المسلمون يشرفون على الحكم أيام عمر بن عبد العزيز ٩٩ هـ - ٧١٧ م . واستمر اشرافهم هذا حتى دالت دولة الأمويين وجاءت الدولة العباسية خليفة الأمويين ، فاستمرت في حكمها للمنطقة حتى وهن الإيمان واستكاثت النفوس . وخلفهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فضعفت الدولة ، وبدأت الولايات تستقل عن جسم الخلافة العباسية في بغداد ، فاستغل المسيحيون هذا الضعف وانقضوا على الحكم عام ٣١٨ هـ - ٩٣٠ م . يستلمونه ، كما دان لهم جزء أذربيجان ، واستقر حكمهم أكثر من قرن وربع حتى جاء السلاجقة ، فخضعت لهم المنطقة وذلك عام ٤٥٧ هـ - ١٠٨٠ م ، مما عدا بلاد داغستان التي كان يحكمها زعماء من الجبل ، استولوا عليها من

بني ساج الذين حكموها من ٢٥٨ - ٣١٨ هـ - ٨٩٨ - ٩٣٠ م واستمر حكم السلاجقة حتى ٥٣١ هـ - ١١٣٦ م حيث حكم الكرج جورجيا ، بينما احتل أمراء أذربيجان أرمينيا . ثم جاء المغول وسيطروا على البلاد ، وبقيت دولة الكرج بين مد وجزر من حيث اتساع رقعتها وضمور أرضها حتى احتلها الروس أخيراً ، وبهذا نجد أن حكم المسلمين لم يستقر في جورجيا وأرمينيا ، وإنما كان المسيحيون هم الذين يحكمون البلاد فعلياً حتى أثناء سيطرة - من سموا بالمسلمين - كانت الحكومة المحلية مسيحية . ولهذا اضطهد الذين اعتنقوا الاسلام .

وقد احتل الروس جورجيا بعد أن وضع ملكها شعبه تحت حماية التاج الروسي وذلك في نهاية القرن الثامن عشر ، وحتى تلك اللحظة كان شعور السكان الجياش قد ساعد على التمسك بالعقيدة المسيحية حية في نفوسهم طالما اعتقدوا أن الغزاة الغرباء من المسلمين . أما في الوقت الذي أصبحت فيه القوة التي تسعى إلى سلب استقلالهم تدين بالمسيحية فقد ساعد ذلك على انتشار الاسلام من قبل بعض السكان . ولولا الظلم والاضطهاد ونص القانون على اعتبار اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أمراً محرماً لعم الاسلام وساد .

أرمينيا

تقع أرمينيا في الجزء الجنوبي من قفقاسيا على حدود تركيا وإيران كما تقع جمهورية ناهنتشيفيان في جنوبها ، أما من الشرق فتقع جمهورية أذربيجان ومن الشمال جمهورية جورجيا . وأرمينيا منطقة جبلية . وأكثر مياهها تنحدر نحو نهر أراكس الذي يشكل الحدود بينها من جهة وبين تركيا وإيران من جهة ثانية ، وفي وسطها تقع بحيرة سيفان على ارتفاع ١٩٢٧ م عن سطح البحر . وتبلغ مساحة أرمينيا ٣٠ ألف كلم^٢ أي ما يقارب ٣ أمثال مساحة لبنان . ويزيد سكانها عن مليوني نسمة وفيهم ٣٤٠٠٠٠ مسلم أي بنسبة قدرها ١٢ % .

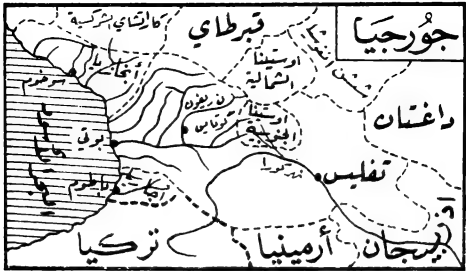
جورجيا

تشغل جورجيا مساحة قدرها ٧٠ ألف كلم^٢ ، وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القفقاس . فيضفي عليها ذلك الموقع اعتدالاً في المناخ . إذ تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط . كما أن الجبال العالية تحول دون وصول الرياح الشمالية الشرقية الباردة وأن ارتفاعها عن سطح البحر يجعلها مصيفاً رائعاً مليئاً بالمناظر الخلابة ، فالجبال المكسوة بالأشجار والأودية المزروعة بمختلف الأنواع بحيث لا ترى إلا الخضرة الفاتنة والمناظر الرائعة والسما الصافية والجداول الرقراقة . والمنطقة هادئة والطبيعة ساكنة ولا يبدد سكونها إلا أصوات الطيور أو خرير المياه . أو حفيف الشجر . كما أن تعرضها لأشعة الشمس يجعلها ذات أهمية من حيث بناء دور النقاهاة وقضاء فصل الشتاء البارد في البلاد السوفياتية ، ولذلك أقيمت على سفوحها أكثر دور النقاهاة في الاتحاد السوفياتي ، وأشهر

ما شيد منها ما هو في مدينة سخالتوبو وأمطارها الشتوية غزيرة . لذلك كانت الأنهار كثيرة وشديدة الانحدار مما يجعلها عميقة ويمكن الاستفادة منها بتوليد طاقة كهربائية هائلة ، والأنهار إما تنساب نحو نهر كورا في القسم الشرقي ، أو نحو البحر في القسم الغربي . وأطول الأنهار الغربية وأكثرها روافداً نهر ريفون الذي يصب عند مدينة بوتي .

ومناخ جورجيا يلئم زراعة الحبوب وخاصة الذرة والكرمة والحمضيات والشوندر السكري وهذه مزروعات تجدها في أكثر أرجاء البلاد ، كما تنتشر شجرة التوت لتربى عليها دودة الحرير . وقد بدأت جورجيا بإنتاج الشاي الذي يزرع على السفوح فتنتج ٩٧ ٪ من الشاي في الاتحاد السوفياتي وتزرع ٥٤,٠٠٠ هكتار سنوياً من هذا النوع تعطي ١٥٧,٠٠٠ طن ، كما تزرع التبغ وهو من الأصناف الجيدة والأنواع المشهورة .

وتنتشر المراعي الواسعة فتربى عليها قطعان الماشية وخاصة الأغنام . وتأتي جورجيا في طليعة الدول المنتجة للمنفيز . كما تحتوي أراضيها على التوتياء والفحم والتنفسيتين . وأهم الصناعات فيها الحديد والصلب وصناعة عربات السكك الحديدية والأدوات الكهربائية . ثم هناك صناعة الاسمنت والأسلحة وحلج القطن ، كما عرفت صناعة السجاد فيها منذ القديم .



يسكن جورجيا اليوم ٤,٣٤٢,٠٠٠ نسمة ، ويبلغ عدد المسلمين ٨٢٥,٠٠٠ نسمة ، فنسبة المسلمين تبلغ ١٩ ٪ تقريباً .

أخذت روسيا على عاتقها حماية بلاد الكرج ١٧٨٣ م . فنزل الداغستان الذين هالهم أن يروا الروس يحتلون المناطق المتاخمة لهم . فنزلوا لحربهم فاضطر الروس للخروج من بلاد الكرج لانشغالهم في معارك ثانية . ولكنهم عادوا إليها بعد فترة . وبعد أن توفيت امبراطورة روسيا كاترين ١٧٩٦ م خلفها القيصر بول . فخالف أسلافه وسحب القوات من بلاد الكرج ولكمه عدل عن رأيه وضمت كرجستان إلى روسيا . مما أجبر الداغستان أن يحاربوا الروس عندما وجدوا أنفسهم محصورين بين نارين . ولكنهم فشلوا في هذه الحرب التي كان

يقودهم فيها عمر خان فما كان من روسيا إلا أن ابتلعت بلاد الكرج واعتبرتها جزءاً من بلادها وذلك في عام ١٨٠١ م . ثم ضمت إليها حكومة ايمارتي التي يحكمها الأنجاز (الأباطة) . وذلك عام ١٨١٠ م كما أنها ضمت إليها حكومة غوريا في منطقة باطوم . وبنتيجة مؤتمر برلين ١٨٧٨ م حصلت روسيا على مدينة باطوم بشكل نهائي . واعترفت بذلك الدولة العثمانية .

وتضم جمهورية جورجيا اليوم الأقسام التالية :

جورجيا :

جمهورية عاصمتها مدينة تفليس التي تقع على نهر كورا وهي مدينة تاريخية قديمة . ويعرف سكان جورجيا باسم الكرج ويقارب عددهم المليونين .

أنجازيا :

جمهورية ، تقع شمال غربي جورجيا ، على ساحل البحر الأسود وتقع شمالها بلاد الأديغا وكاراتشاي الشركسية ، وعاصمتها مدينة سوخوم . والأنجاز من العناصر الشركسية ولكنهم انفصلوا عنهم يجبال القفقاس ويقطنون سواحل البحر

الأسود والمرتفعات من الجبال . فالقسم الذي يقطن سواحل البحر يعرفون باسم الأنجاز وأكثرهم من المسيحيين ، وعندما صدر مرسوم بالتسامح الديني في بلاد روسيا عام ١٩٠٥ دخلت جموع كبيرة منهم في الإسلام بعد أن ظلوا طويلاً يدينون بالمسيحية اسماً ، ولهذا القسم صلة بالكرج أكثر من صلتهم بباقي الشراكسة . حيث الجبال التي تفصلهم شاهقة القمم وعرة المسالك . أما القسم الثاني الذين يقطنون الجبال وسفوحها الشمالية فبقيت صلتهم مع الشراكسة قائمة . ويعرفون باسم الأبازين ، وهم من المسيحيين وأكثر صلتهم بالقبريطي .

وبلاد الأنجاز سهلية تنحدر مياهها من الجبال نحو البحر الأسود . وتكون الأنهار بشكل عام قصيرة . وقد قضت روسيا على استقلال هذه البلاد عام ١٨١٠ م .

آجاريا :

وتقع على ساحل البحر الأسود أيضاً بين جورجيا وتركيا . عاصمتها مدينة باطوم التي تعتبر المرفأ الأول في جورجيا . وعن طريقها تتصل بالخارج وتصل إليها أنابيب البترول من مدينة باكو في أذربيجان .

وقد قضت روسيا على استقلال المنطقة في بداية القرن التاسع عشر ، أما المدينة فقد ضمت إليها بنتيجة مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م .

والمنطقة سهلية وأنهارها قصيرة تتجه نحو البحر الأسود ، وأطولها الذي يصب جنوب مدينة باطوم .

أوستينيا الجنوبية

وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي . والأستين قبيلة من القبائل
الشركسية تقطن القسم الأوسط من جبال القفقاس في مرتفعاته
المنبوعة وقمه الشاهقة المعروفة (قازبك) و (البروز) والاسم
القومي لهذه القبيلة (الإيرون) أما الأستين فهو الاسم التاريخي
لهم . أما بين الشركسة فيعرفون باسم (القوشحه) أو
(القوصحة) ، والقسم الجنوبي مقاطعة ذات حكم ذاتي يطلق
عليهم الكرج اسم . (توالنا) وهم يتبعون جورجيا . أما القسم
الشمالي فهو عبارة عن جمهورية ذات حكم ذاتي وسيأتي بحثها
ضمن المجموعة الشركسية فيما بعد .

المجموعة الشركسية ويضاف إليها جمهورية شاشان انغوشيا:
وتختلف عما بحثناه سابقاً (داغستان وأذربيجان وجورجيا
وأرمينيا) في ناحيتين :

أ - في أنها لا تشكل (حسب التقسيمات السوفياتية
المعقدة) جمهوريات مستقلة خاصة بسكانها وإنما هي جمهوريات
ذات حكم ذاتي أو مقاطعات ذات حكم ذاتي تتبع لأقاليم
واسعة .

ب - بقي سكان هذه المناطق على الوثنية حتى فترة
قريبة لا تزيد عن القرنين ، رغم أنها خضعت اسمياً للدولة
العثمانية . وقد كان التبشير في مرحلته الأولى ضعيفاً لعدم
استقرار الوضع في البلاد ومداهمة المغول . ثم وضعت المنطقة
تحت نفوذ العثمانيين ، ولم يكن اهتمام هؤلاء في بداية الأمر جدياً
بالنسبة لنشر الدين . فبقي العمل للإسلام محدوداً حتى نهاية

القرن الثامن عشر حيث بدأ انتشار الاسلام يتوسع في تلك
الرابع عن طريق المبشرين ، حيث ظهر في داغستان شخص
يدعى درويش منصور ، حاول أن يجمع شمل قبائل القوقاز
المختلفة ويوحد كلمتهم لمناهضة الروس . ولم يجد أفضل من أن
يبث دعوته لنشر الاسلام ، ويستثيرهم للجهاد في سبيل الله .
وما انتصرت أمة على عدوها إلا إذا حاربتة معتمدة على
عقيدتها التي تنبع من ضميرها ومقدساتها . وقد كانت الفتوحات
العربية الاسلامية الواسعة مستوحاة من الجهاد في سبيل نشر
العقيدة ، وان يكون اليوم لنا نصر إلا بذلك . وقد أفلح
السيد درويش منصور في تحويل أمراء يوجستان وداغستان
وأشرافها إلى الدين وقد ظلوا على ولائهم للاسلام منذ ذلك
الحين . وكذلك دخل في دعوته كثير من الشراكسة ، ولكنه
أسر عام ١٧٩١ في الحرب التي دارت رحاها بين الروس الذين
أخذوا على عاتقهم حماية جورجيا من جهة وبين أمراء داغستان
بقيادة عمر خان من جهة ثانية . وكانت النتيجة أن دخلت
جورجيا في حوزة الروس عام ١٨٠٠ ولكن إن أسر درويش
منصور فإن دعوته لم تمت ، وإنما استمرت بفضل صدقها
وحماس أتباعها فما ماتت دعوة من ورائها مخلصون ولا انتهى
عمل من خلفه يريدون تحركهم العقيدة التي تنبع من القلب
فإن ينابيع القلب لا تنضب إن جفت بقية الينابيع . ومن

جهة ثانية فبعد توقيع معاهدة كوتشوك كينارجي ١٧٤٤ م التي اعترفت بموجبها الدولة العثمانية باستقلال شبه جزيرة القرم، وفتحت طريق البحر الأسود للسفن الروسية خافت الدولة العثمانية من سيطرة الروس فأرسلت ضابطاً يدعى فرح علي وذلك عام ١٧٨٢ لتأسيس مركز في أنابا بالقرب من منفذ البحر الأسود. وفكرت بأن يكون هذا المركز بنفس الوقت مجالاً للتبشير بالاسلام بين الشراكسة الذين بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية إلا أعداداً ضئيلة منهم سبق أن دخلوا في الاسلام.

وفي الواقع لم يكن السيد فرح علي ضابطاً عسكرياً بفهمنا اليوم بل كان ضابطاً حقيقياً يفتح القلوب للإيمان قبل أن يفتح المراكز العسكرية. فكان أول عمل قام به أن خطب ابنة أحد الشراكسة وقدم إلى أبيها هدايا ثمينة من الأسلحة والخيل وأقام احتفالاً فخماً. وشجع جنوده أن يحتذوا حذوه ووعدهم بدفع كامل نفقات الزواج. وبهذه الطريقة دخلت نساء شركسيات إلى مراكز أنابا. واعتنقن ديانة أزواجهن وقد جذب هؤلاء النساء آباءهن وأخواتهن إلى الإسلام. وبدأت حركة نشيطة لنشر الدين. وقد أظهر الشراكسة الذين دخلوا في الاسلام استعداداً كبيراً لتعلم القرآن. وقد عكف العلماء على تفقيه هؤلاء في الدين فطلبوا

مدداً من القسطنطينية لتثقيف هذه الجموع الحديثة العهد بالاسلام . وقد كان عددهم يزداد يوماً بعد يوم .

وقد توفي السيد فرح علي عام ١٧٨٥ م . ولكن الدعوة استمرت بعده بشكل بطيء حتى سقطت أنابا بأيدي الروس عام ١٨١٢ م لكن الدعوة ثابتة على استمرارها لأن العقيدة لا تربط بالأشخاص أو المراكز وإنما بالقلوب المتعلقة بالمفاهيم . وإن بقي عمل الدعوة بطيئاً حتى عام ١٨٢٦ حيث ابتدأت الحروب بين الروس والشراكسة برئاسة الشيخ شامل فازداد الحماس والتهبت النفوس للدخول في الاسلام . بل أصبح الانتساب إليه يعتبر مفخرة من المفاخر لمحاربة العدو المغاير بالعقيدة ، المخالف بالأفكار ، وعندما تغلب الروس عام ١٨٦٤م على مقاومة الشركس هاجر منهم أكثر من نصف مليون إلى البلاد الاسلامية هرباً بدينهم ونجاة بعقيدتهم . فكل شيء يسهل أمام العقيدة ، وأصبحت البلاد الشركسية ضمن الأراضي الروسية وكان القانون القيصري يعتبر اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أمراً محرماً . فتوقف انتشار الاسلام حتى عام ١٩٠٥ حيث صدر مرسوم بالتسامح الديني فدخلت جموع كثيرة إلى الاسلام وخاصة من الانجاز الذين ظلوا طويلاً يدينون بالمسيحية اسماً فقط . ولكن هذا التحول نحو الاسلام جعل رجال الكنيسة يأخذ منهم كل مأخذ فأقاموا جمعية دينية خاصة بتوزيع منشورات مسيحية بينهم أملاً في

مناهضة انتشار الاسلام . ولكن هذا لم يقف دون تقدم
الاسلام الذي دان به جميع السراكسة . فأعاد الروس تحريم
أي دين غير المسيحية الأرثوذكسية ولكن هذا لم يدم طويلا
حتى قامت الثورة الشيوعية التي لا تؤمن إلا بالمادة وتعتبر جميع
الاديان إن هي إلا أفيون للشعوب وخاصة الاسلام الذي يرفض
الخضوع لأي قانون غير شرعه . والجهاد سبيله إلى هذا ،
والإيمان مادته التي تبقى القلوب على حيويتها .
وأهم الجمهوريات في هذه المنطقة :

ششن أنغوشيا

وتختلف هذه المجموعة عن المجموعة الشركسية في كثير من عاداتها ولغتها ، والزواج لا يتم على طريقة الاختطاف بل على طريقة العقود . حتى أن الششن ليتضايقون من وضعهم ضمن العناصر الشركسية . ولكنهم قريبون جداً من العناصر الداغستانية حتى في اللغة والتقاليد ، والمهاجرون في بلادنا يوضعون ضمن الداغستان ويدعي الششن أنهم من أصل عربي شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب الاسلامية ، تفاخراً وتبركاً ، حتى وضعت شجرات أنساب تصلهم بالعرب ويبلغ عددهم ما يقارب نصف مليون ولكنه حسب الاحصاءات الروسية لايزيد عددهم عن ٣٠٠,٠٠٠ نسمة بينما يصل عددهم حسب أقوالهم إلى ٨٠٠,٠٠٠ شخص .

وللشن جمهورية خاصة ذات حكم ذاتي ورغم أن هذه العناصر أعتنقت الاسلام حديثاً فإنها متمسكة به ، محافظة

عليه، إذا قورنت مع المجموعات البشرية المجاورة لهم في السكن وقد لاقى أهلها كل أنواع العذاب في سبيل دينهم ومن أجل عقيدتهم ، فألغيت جمهوريتهم ونفي سكانها إلى مجاهل سيبيريا حيث قاسوا هناك العناء واليأس والشوق والغربة وأصعب الأعمال وأقساها ومع ذلك فقد استمسكوا بدينهم وتجلدوا ، ورأى الروس منهم أناساً لا يتأثرون لريب الزمان فأعادوهم من منقاهم وأعادوا لهم تشكيل جمهوريتهم وذلك في عام ١٩٥٧ م .

تقع بلاد الششن في السفوح الشمالية لجبال القفقاس فتتدفق إليها المياه صخابة جرافة من الجبال وتشكل أنهاراً كثيرة تلتقي كلها بنهر ترك الذي يعتبر أهم أنهار قفقاسيا . وتنقلب هذه المنطقة إلى جنات وارفة ملأى بالمزروعات كثيفة بالأشجار ومع هذا لا تعتبر بلاد الششن ذات شهرة واسعة



بالزراعة إذا قيسَت بجانب الكميات البترولية المنبعثة من أراضيها والمنبثقة من حقول غروزي .

وتظهر القرى كبيرة بسبب تفرق المنازل وانتشار البيوت . فكل بيت حوله مزرعة مساحتها ١٠٠٠ م^٢ تركت لصاحب البيت ليعمل بها ويستثمرها ، وهي الملكية الوحيدة من الأرض التي يمكن لمن استخلفه الله في الأرض أن يتصرف فيها .

ويكون العمل الزراعي في مزارع جماعية منتشرة بشكل واسع ، يعمل الفرد فيها حسب ما خصص له بشكل آلي ، بحيث لا يمكن أن يشتغل بفكره ، أو يعمل بعقله الذي ميز الله به الانسان عن بقية المخلوقات ، وأكرمه بذلك : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (١) » .

ويكون المبيع في محلات عامة ملك للدولة ، يشتري الانسان منها ما عين له ، ويأكل ما خصص له ، بحيث لا يمكن أن يأخذ حسب حاجته ومتطلباتها التي هي ضرورة له ولا حسب رغبات نفسه التي ماتت مع بقاء الروح فيها :

ليس من مات فاستراح يميت إنما الميت ميت الأحياء

(١) الاسراء الآية ٧٠ .

ويختلف التعليم حسب مراحلها فالابتدائي يكون باللغة الششانية بأحرف سلافية فرضت عليهم فرضاً ، بعد أن أبعدت الأحرف العربية ، وفرضت العقوبات الصارمة على من يكتب أو يتكلم العربية ، ولا عيب في ذلك فحسب المثل الشائع - ضرب الحبيب زبيب - والروس أحمأؤنا .

أما في المرحلة الثانوية فالتعليم فقط باللغة الروسية واستعمال أية لغة غيرها يعتبر جريمة في نظر القانون ، وهذا ليس بالاستعمار وإنما رأي أنصار السلام .

زيارة أحد المهاجرين إليها

وقد زار أحد الششن اللاجئين إلى الأردن تلك المنطقة في الصيف المنصرم ، بعد أن حصل على موافقة السلطات الروسية بالدخول إلى البلاد ، وبعد أن أبرز كفالة رسمية من شخص في المكان الذي ينبغي زيارته ، بالألا ينقل أخباراً ، ولا يتكلم عن الأحوال ، ولا يبحث في أمور سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، وإنما يرى فقط أقرباءه - وهذه أفضل التسهيلات للزوار ، والدول تفخر عادة بزيارة الأشخاص إليها ، لينقلوا عنها إلى مجتمعاتهم ما رأوه من حرية وتقدم وحضارة وتمدين . وقد ذكر أموراً كثيرة يجدر الاهتمام بها والتأمل فيها » إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى

السمع وهو شهيد^(١) . ومن أهم هذه الأمور التي ذكرها :

١ - أنه استقبل بشكل منقطع النظير ، حيث كان بانتظاره بضعة آلاف من الأشخاص في المحطة مع أنه شخص عادي ، وبقي ثلاثة أسابيع محجوزاً في غرفته لا يمكنه مغادرتها لكثرة الوافدين للتحية بالمشات يومياً ، ولمنعه من التجوال وقد جاء بعضهم من مسافات بعيدة جداً ، حتى قدم بعضهم بالطائرة من مسافة ١٥٠٠ كم ليرى أحد الذين أتوا من بلاد النور من العربية .

٢ - كانوا يحمدون الله كثيراً على أنه أصبح للشخص المرفه منهم أكثر من غيار واحد من الثياب ، بعد تطبيق الاشتراكية العلمية بمدة ٥٠ عاماً ، وقد صار بإمكانه أن يغير ثيابه دون البقاء تحت اللحف ريثما يجف ما غسله من ثياب ، ويكرهون الانخراط في صفوف الجيش الروسي ، ولكنهم مرغون على تأدية الخدمة الإلزامية .

٣ - عندهم ميل غريب للإسلام والتفقه فيه ، ومعرفة أحكامه ما عدا الجيل الجديد الذي نشأ على عقيدة الشيوعية أو أجبر عليها فينفر من الدين نفوراً يتناسب مع عقيدته الجديدة ، والشيء الذي يحز في نفوسهم قلة الأئمة والعلماء وقد

(١) ق الآية ٣٧ .

كان السكان هناك يوجهون إليه أسئلة فقهية ويفترضون أنه على علم بها ما دام يعرف العربية ويقطن مع أهلها .

ويسكن هناك شخص عاش بعض الوقت في البلاد العربية ، فيعتبره السكان ولياً من أولياء الله ويتبركون به ، رغم أن لغته العربية ضعيفة جداً .

٤ - لا يعرفون شيئاً عن العالم الخارجي ، ولا عن اللاجئين عن ديارهم ، كما أنهم يمنعون من الذهاب إلى الحج ، وكل الذي يهتمون به إنما هو عملهم وعملهم فقط راضين بذلك أو مرغمين .

٥ - وقد أفتى لهم الحكام بأن الخمر غير محرمة في الاسلام ، وعندما سأهم الضيف عن الخمر وكيف يتعاطونه مع أنهم يسألون عن الدين ؟ فأجابوا بأنه غير محرم ما داموا لا يتعاطونه عندما يصلون .

٦ - يعتبرون البلاد العربية بلاد النور ، ما دام الاسلام منها نشأ ومنها خرج ، ويظنون بأهلها أحسن الظنون ، ويعتبرونهم المثل الأعلى في الكمال والجمال والعلم والخلق والفضيلة ، أو أنهم المتدينون فعلاً ، كما يعتقدون أن الاسلام في البلاد العربية هو الحاكم فيها لا المحكوم عليه ، ولهذا كانوا يجمعون أعقاب السجائر التي يلقونها ضيفهم على الأرض ، ويضعونها في أماكن خاصة ، ويغضبون من إلقائها على التراب

حيث يمكن أن تداس بالأرجل فكيف ذلك ؟ وقد جاءت
من بلاد النور . وقد طلب منه شيخ كبير يزيد على الثمانين أن
يؤمّه في ركعتين ، وقال : إن أمله الأول والأخير قبل أن
يوارى قبره أن يقتدي ولو بركعتين بإنسان قادم من البلاد
العربية .

هذه هي أيها العرب نظرة الشعوب الاسلامية إلينا ، فما
هي نظرتنا إليهم ؟ وما هي السبل التي ننهجها للتعرف على
أوضاعهم ومساعدتهم على حل مشاكلهم ؟ ونحن أمة أعزّنا
الله بالاسلام ومن ابتغى العزة بغيره أذله الله .

أوستينيا الشمالية

الأوستين من العناصر الشركسية ؛ وتد اكتسبوا هذا الاسم عبر التاريخ ، ويقطنون أعلى مرتفعات جبال القوقاز وأمنعها واحصنها ، مما أبقاهم على عزلتهم ، لا تصل إليهم المؤثرات الخارجية ولا يختلطون بغيرهم فقد بقي قسم منهم على الديانة المسيحية في المناطق القريبة من الكرج ، واعتنق الاسلام سكان المناطق المتاخمة للششن والقبرطاي ، وقسمت الادارة الروسية بلادهم إلى قسمين . كان الأول عبارة عن مقاطعة ذات حكم ذاتي تتبع جمهورية جورجيا ، وهو القسم الجنوبي ، واطلق على سكانه اسم توالتا زيادة في التفرقة والانقسام ، وأعطى الثاني وهو الشمالي اسم جمهورية ذات حكم ذاتي . وقد أضفى عليهم موقعهم شجاعة وقوة جعلتهم جنوداً أشداء بالفطرة يرغبون في القتال بأي مكان وجدوا فيه ولصالح أية دعوة تستنجد بهم ، مما شجعهم على الانخراط في

صفوف الجيش الروسي ، إضافة إلى بلادهم الجرداء تقريباً التي لا تكفيهم مورداً ، وقد أصبح عدد من الضباط منهم في الجيش الروسي بخلاف الششن الذين يكرهون الخدمة العسكرية في روسيا ويذهبون إلى الخدمة الإلزامية بكل تملل .

ومن أوستينا قنبح الروافد الكثيرة لنهر ترك وتعتبر حدودها الجنوبية التي تفصلها عن أوستينا الجنوبية هي ذرى جبال القفقاس .

كَبَارْدِيَا

ويطلق على السكان اسم قبرطاي وهم من العناصر
الشركية وأعطي بلادهم اسم جمهورية ذات حكم ذاتي .
ويسكنون في غرب القوشحه في المناطق المرتفعة من جبال
القوقاز أيضاً ويشتهرون في تربية الخيل رغم أن هذه المهنة
تشتهر بها كافة المناطق القفقاسية بشكل عام . وجميع
القبرطاي يعتقدون الاسلام و متمسكون به رغم أنهم يحافظون
على عاداتهم وتقاليدهم ، ومن الصعب تغيير تلك العادات وقد
جرت محاولة على يد المصلح المعروف إسلام بك ولكنه عجز ،
وخاصة أن القبرطاي مبالغون في عصبيتهم ويتفاخرون بها
أشد المفاخرة وينظرون إلى جميع العناصر المجاورة لهم من
شركية وغيرها نظرة فيها شيء من الاحتقار .
ومن جمهورية كبارديا تنبع الروافد الكثيرة لنهر ترك ،
وتعتبر حدودها الجنوبية التي تفصلها عن جورجيا هي ذرى
جبال القفقاس .

كراتشاي الشركسية

وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي تتبع إقليماً واسعاً يعرف باسم مركزه ستافروبول ورغم أنها تحمل اسماً شركسياً ، إلا أن سكانها ليسوا من العناصر الشركسية وإنما هم من المغول وتدل على ذلك صفاتهم كما أنهم يتكلمون لغة خاصة بهم أقرب إلى اللغة التركية تؤكد أيضاً أصلهم المغولي ، وجميع السكان يدينون بالاسلام وهي تجاور الأنجاز من الجنوب والحدود بينهما إنما هي ذرى القفقاس وخط توزيع المياه ، حيث تنحدر المياه في الجنوب نحو أنهار أنجازيا وتنحدر في الشمال نحو نهر كوبان ، أما حدودها مع الأديغة والقبرطاي فهي تسير خط انتشار المجموعات البشرية ، وأما من ناحية الشمال فصلتها بإقليم ستافروبول .

بلاد الأديغة

وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي ، وتتبع إقليمياً يعرف باسم مركزه مدينة كراسنودار التي تقع على الجهة اليمنى من نهر كوبان الأدنى ، وتشرف هذه البلاد على البحر الأسود من ناحية الغرب . وتجري في أراضي هذه المقاطعة مياه نهر كوبان وروافده وتميل الأراضي بشكل عام نحو الشمال الغربي .

يتألف سكان هذه البلاد من مجموعة قبائل ، أشهرها الإيزاخ التي تقيم في السفوح الشمالية لجبال القوقاز ، ومن هذه القبائل أشهر العائلات من اللاجئين في بلادنا وهي أسرة دوغوظ ثم هناك قبائل البزادوغ وتقيم في الشمال على ضفة نهر كوبان اليسري ، ثم هناك قبائل الشابسيف وتقيم شرق قبائل

البزادوغ ، وهناك قبائل الخاتوقواي ، وجميع السكان يدينون بالاسلام، وأهم مدن المنطقة مايكوب المدينة الشهيرة في صناعتها وثروتها البترولية ، ومن أهم المرافئ مدينة سوخي ومدينة أنابا .

فهرس

٣١	الداغستان :	٥	المقدمة
٣٢	١ - الداغستان	٩	طبيعة بلاد القفقاس
٣٢	٢ - الشاشان	١١	سير الفتوحات الاسلامية
٣٢	٣ - القوموق	١٨	الغزو المغولي
٣٢	٤ - الآندي	٢٠	الاستعمار الروسي
٣٣	العادات الشركسية والتقاليد	٢٧	الأجناس في قفقاسيا
٤١	الحياة الاقتصادية في قفقاسيا	٢٩	الأديان في قفقاسيا
٤٦	التقسيمات :	٢٩	الجراكسة :
	الجمهوريات الاشتراكية	٣٠	١ - الانجاز
٤٦	السوفيتية	٣٠	٢ - الازاخ
	الجمهوريات الاشتراكية	٣١	٣ - القوشة
	السوفيتية ذات الحكم	٣١	٤ - القبرطاي
٤٦	الذاتي	٣١	٥ - البزادوغ
	المقاطعات ذات الحكم	٣١	٦ - الشابسينغ
٤٧	الذاتي		

٧٣	اوستينيا الجنوبية	٥٠	أذربيجان
٧٩	ششن انغوشيا	٥٦	قره باخ
٨٢	زيارة أحد المهاجرين إليها	٥٧	داغستان
٨٦	اوستينيا الشمالية	٦٦	ارمينيا
٨٨	كبارديا بلكاريا	٦٧	جورجيا
٨٩	كاراتشاي التركية	٧٠	جورجيا
٩٠	بلاد الأديغة	٧٠	انجازيا
		٧١	آجاريا

من منشورات مؤسسة الرسالة / بيروت

- | | |
|--------------------------------------|----------------------|
| الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن | د. عدنان زرزور |
| نظرية دارون | قيس القرطاس |
| في النقد الاسلامي المعاصر | د. عماد الدين خليل |
| نظرية التكليف | د. عبدالكريم عثمان |
| المرأة بين الفقه والقانون | د. مصطفى السباعي |
| الأسلحة الكيماوية والجرثومية | د. نبيل الطويل |
| الأسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة | محمد الصباغ |
| المصادر العربية والمعرية | د. محمد ماهر حماده |
| المجتمع المتكافل في الاسلام | د. عبد العزيز الحياط |